

**حادثة الإفك وتبرئة عائشة الصديقة
رضي الله عنها**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب خير .. وتمام الكتاب نعمة

**حادثة الإفك وتبرئة عائشة الصديقة
رضي الله عنها**

د. عادل صالح الجطيلي

مكتبة الصحوة
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م
مكتبة الصحوة - الكويت
ت : ٢٢٦١١٠٠٦

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

مقدمة

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، الواحد الأحد ذي العزة والستر، لا ندّ له فيبارى، ولا شريك له فيدارى، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار، قدر مقادير الخلائق وأقسامها، وبعث أمراضها وأسقامها، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، جعل للمحسنين الدرجات، وللمسيئين الدرجات.

فحمداً لك اللهم مفرج الهموم، ومنفس الكرب، ومبدد الأشجان والأحزان والغموض، جعل بعد الشدة فرجاً، وبعد الضر والضيق سعة ومخرجاً، لم يُخلِ محنة من منحة ولا نقمة من نعمة ولا نكبة ورزية من هبة وعطية، نحمده على حلّ القضاء ومرّه، ونعوذ به من سطواته ومكره، ونشكره على ما أنفذ من أمره، وعلى كل حال نحمده.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عدة الصابرين وسلوان المصابين، الكريم الشكور، الرحيم الغفور، المنزه عن أن يظلم أو يجور، الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذي كفروا بربهم يعدلون، له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون.

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه أعرف الخلق به، وأقومهم بخشيته، وأنصحهم لأمته وأصبرهم لحكمه، وأشكرهم على نعمه، أعلاهم عند الله منزلة وأعظمهم عند الله جاهاً، بعثه للإيمان منادياً، وفي مرضاته ساعياً، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، بلغ رسالة ربه وصدع بأمره، وتحمل ما لا يتحمله بشر سواه، وقام لله بالصبر حتى بلغه رضاه، دعانا إلى الجنة وأرشدنا إلى إتباع السنة، وأخبر أن إعلاننا منزلة أعظمنا صبراً، من استرجع واحتسب مصيبيته كان له ذخراً ومنزلة عالية وقدرراً، وكان مقتنياً هدياً ومتبعاً أثراً، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته الأخيار وسلم تسليماً كثيراً متصلاً مستمراً ما تعاقب الليل والنهار.

قالت تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أما بعد:

الحديث عن حادثة الأفك إنما هو حديثاً عن قصة ألم كانت ولا زالت تدمي القلوب وتجرح النفوس فهي ليست قصة تُسرد أو حكايةً مرت على التاريخ تبكيها ساعة وتفرحنا ساعة لما فيها من البشري، بل هي أحكاماً شرعية وأخلاقاً سوية وشرعية يتقرب بها العبد إلى الله فقد اشتملت حادثة الأفك على آلاماً كثيرة أصابت

قلب النبي ﷺ وقلب عائشة الصديقة وأبويها وأصابت صفوان بن المعطل الصحابي الجليل الذي قدم نفسه لله فهو ممن شهد بدرًا رضي الله عنهم أجمعين.

الحادثة هزت بيت النبوة شهراً كاملاً أمتحن الله بها بيت النبوة.

فقصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين، وكان من لطف الله تعالى بنبيه ﷺ وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، لاسيما موقف أبي أيوب وأم أيوب، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحي شهراً كاملاً لا ينزل في أمر عائشة رضي الله عنها شيئاً حتى ميز الله الصفوف وكشف الرؤوس وفضح المنافقين، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وصدق الله العظيم بعد أن أنزل براءة عائشة أذ قال: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فحقيقة الخير ما زاد نفعه على ضرره وحقيقة الشر ما زاد

ضره على نفعه ولا خير دون شر إلا الجنة ولا شر دون الخير إلا جهنم؛ لذا كانت الحادثة خيراً مع ما أصاب بيت النبوة من ضرر الهم والغم والشك والأذى خيراً لأم المؤمنين عائشة كما سيأتي بيانه في الشرح خيراً للأمة لما فيها من أحكام شرعية دينية صان الله فيها الأعراض فله الأمر من قبل ومن بعد فكتبت هذه الرسالة مستعيناً بالله العظيم عسى الله أن يبصر بها قلوب المؤمنين فيفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً فقامت بسرد الحديث ثم شرح فقراته ونقل أقوال أهل العلم مع ذكر ما ورد فيها من الأحكام الفقهية وألحقها بأحكام القذف ثم ختمت هذه الرسالة بقواعد أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان وأسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم وأن يجنبنا سبل الضلالة ونستغفره من زلة القلم والفكر هو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كتبه

د. عادل بن صالح البطيلي

السادس من ربيع الأول لعام ١٤٣٠ هـ

الموافق للثالث من مارس لعام ٢٠٠٩

تمهيد :

إشاعة الأخبار ضد المؤمنين الموحدين سلاح اتخذته أعداء الإسلام على مر العصور والدهور تبدأ من حادثة الأفك التي استهدفوا بها بيت النبوة وقيادة الإسلام كلها، وإلى يومنا يسعى أهل الكفر والنفاق النيل من الإسلام وأهله.

فبالإشاعة يُتهم البريء بما ليس فيه، وتلوث الذمم والألسنة نتيجة الخوض في أمور بلا تروٍ وتثبت حتى تنعدم الثقة المتبادلة بين الناس وينتشر الكذب، فيصدق الكاذب ويكذب الصادق، ومجتمع يحمل هذه الصفة مجتمع يصعب العيش فيه ومعه.

وكم وقع للمسلمين في العهد الأول من شائعات كان لها آثاراً سيئة، وكان أبرزها ما أشيع عن كفار قريش بأنهم أسلموا، وذلك بعد الهجرة الأولى للحبشة، فكان نتيجةها أن رجع عدد من المسلمين إلى مكة، وقبل دخولهم علموا أن الخير كذب، فدخل منهم من دخل وعاد من عاد، فأصاب من دخل منهم عذاب قريش الشديد وكانوا قد فروا منهم.

وكذا في معركة أحد عندما أشاع الكفار أن الرسول ﷺ قتل، فتّ ذلك في عضد كثير من المسلمين، حتى إن بعضهم ألقى السلاح وترك القتال وأصابهم إحباط شديد.

وما أشيع من أن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه قد قُتل فتجمعت بعدها أخلاط من المنافقين ودهماء الناس وجهلتهم وأصبحت لهم شوكة، وقتل على إثرها خليفة المسلمين بعد حصاره في بيته وقطع الماء عنه، وكثيراً ما يستخدم أعداء الدين بما نسميه في عصرنا بالحرب النفسية وهي إشاعة خبر لشيط وزعزعة النفوس لذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ فأمّر الله برد الإشاعة إلى ذوي السلطة والقيادة وكل هذا من البلاء والتمحيص وصدق الله إذ يقول: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١].

وقد قيل :

قد يُنعمُ الله بالبلوى وإنْ عَظُمَتْ ويبتلي الله بعضَ الخلقِ بالنعم

وقيل : وربما صحت الأبدان بالعلل .

خطر المنافقين على الإسلام :

وما أبتلي الإسلام بشيء أعظم من بلاءه في المنافقين ، يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك ، حذر الله تعالى منهم في مواضع كثيرة من كتابه العزيز ، وذكر صفاتهم بأوائل سورة البقرة ، فذكر المؤمنين بآيتين ، وذكر الكافرين بأربع آيات ، وذكر المنافقين بثلاث عشر آية ، لعموم الأبتلاء بهم نعوذ بالله من شرهم ، فهم في كل زمان ومكان ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فقلما تجد كتاباً لمفسر أو محدث أو مؤرخ أو أديب إلا وله باب في صفات المنافقين والتحذير منهم فهم أشد خطراً على أمة الإسلام من الكافرين .

ثم إن المنافقين لم يكونوا مجهولين في مجتمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولم يكونوا هم السواد الأعظم ، والجمهور الغالب فيهم ، وإنما كانوا فئة معلومة آل أمرهم إلى الخزي والفضيحة ، حيث علم بعضهم بعينه ، والبعض الآخر منهم علم بأوصافه ، فقد ذكر الله في كتابه العزيز من أوصافهم الكثير ، وأخصها ما ورد في سورة التوبة ، ما جعل منهم طائفة متميزة منبوذة ، لا يخفى أمرها على أحد .

أخرج مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، قال: قال النبي ﷺ: «في أمتي» - وفي رواية - «في أصحابي إثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة، سراج من النار، يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم» (١٣٧/٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة من حجره، وعنده نفر من المسلمين قد كان يقلص عنها الظل، قال: سيأتيكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان فلا تكلموه، فدخل رجل أزرق، فقال رسول الله ﷺ على ما تسبني أنت وفلان وفلان، لقوم دعا بأسمائهم، فانطلق إليهم فدعاهم فحلفوا واعتذروا فأنزل الله عز وجل ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ جَمِيعًا حَلَفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١).

ومن أشهر هؤلاء عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ومدبر أمرهم.

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٢٨٢، ٢٨٣). والحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، باب تفسیر سورة المجادلة (٢/٥٢٤ رقم ٣٧٩٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

صفات المنافقين في القرآن :

لقد هتك الله أستار المنافقين ، وكشف أسرارهم ، وأظهر مخبوء صدورهم ، وأخرج أضغانهم وجلّى أمرهم لعباده المؤمنين لعظم ضررهم وشدة البلية بهم ليحذروهم ، وأن لا يتلبسوا ببعض صفاتهم وأنزل فيهم قرآناً يتلى ، حتى لتكاد الأصابع أن تشير إلى هذا النموذج المكروه ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ وفي سورة التوبة حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما : «ما زالت تنزل وصفهم حتى ظننا أنه لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها» رواه أبو عبيد وابن المنذر وأبو الشيخ.

فقلما تجد منافقا قد أنفك عن أحد تلك الصفات ، ولم تكن تلك الآيات والعلامات تخص عهد النبي ﷺ أو قرناً من القرون بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهي لكل زمان ومكان وقد ذكر الله تعالى قبيح صفاتهم ليميزهم من بين الصف المسلم ومنها :

مرض القلب وهو نوعان : مرض شهوة ومرض شبهة وهؤلاء قد اجتمع فيهم المرضان ، قال تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] ، أما الشهوة

فهم أجزؤ الناس على محارم الله ومعاصيه وشبهه لما فيه من التكرذب بموعود الله تعالى.

ومن صفاتهم الإفساد في الأرض ويشمل إفساد النسل والنفس والعقل والمال، إضافة إلى إفساد الدين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢]، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ تعلم ما للمعصية من أثر في عمى البصيرة.

وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي، وذلك أن العمل بالمعاصي إفساد في الأرض.

ومنها رميهم المؤمنين بالسفه والجهل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

ومنها اللدد في الخصومة والعزة بالإثم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ءَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]، وإذا تولى سعى في الأرض لفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

ومنها موالاة الكافرين والتربص بالمؤمنين ، قال تعالى : ﴿بَشِّرِ
الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أَيُنْغِوثَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٨-١٣٩) ، وقال
تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْبِبُونَكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ
كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ بِحُكْمِ
يُنْصِرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٤١) ،
ومن الموالاة ما يصلح حدها إلى الخروج عن دائرة الإسلام .

ومنها الخداع والرياء والتكاسل عن أداء العبادات ، قال
تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا
كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٥) مُدْبِرِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ
وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢-١٤٣) .

ومنها التحاكم إلى الطاغوت ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى
الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٦٦)
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنْكَ صُدُودًا﴾ (١٦٧) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ
جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوَفِّيَّا﴾ (١٦٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ

ومنها الإفساد بين المؤمنين بالتشيط والأرجاف والتخويف، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

ومنها أنهم يعيرون أهل الحق، ويرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

ومنها الغدر وعدم الوفاء بالعهد قال تعالى: ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَا يَكُنْ آتِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ

فَضَّلِهِ بِخُلُوبِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعَقَّبَهُمْ نَفَقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

ومنها أنهم يعيبون المؤمنين ويسخرون منهم ولا يرضيهم منهم شيء، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

ومنها توأصيهم بترك الجهاد، قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

ومنها الإضرار بالمؤمنين وتسترهم بفعل ظاهره مشروع وباطنه كيد وخديعه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أَشْسَسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ سَبِيلًا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

وهذه بعضا منها والشواهد كثيرة فما من صفة ذكرها الله إلا وللتاريخ فيها شاهد ودليل وإلى يومنا هذا، فإن بلية الإسلام بهم

شديدة؛ لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالياته وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب.

المنافقون في غزوة بني المصطلق :

خرج في غزوة بني المصطلق عدد كبير من المنافقين مع المسلمين ، وكان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة ، لكنهم لما رأوا تتابع النصر للمسلمين خرجوا طمعاً في الغنيمة وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين فكان بداية بث الفتنة والشقاق والطعن في دعوة الإسلام ، فكلما كسب الإسلام نصراً جديداً ازدادوا غيظاً على غيظهم ، وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون لتشفى من الغل ، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار ، فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء الرسول ﷺ في نفسه وأهل بيته ، فشنوا حرباً نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها ، ولترك الصحابي زيد بن أرقم وهو شاهد عيان ومشارك في الحادث الأول يحكي خبر ذلك ، قال : «كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي ، فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه ،

فأصابني هم لم يصبني مثله قط ، فجلست في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافيق: ١] .

فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأ ، فقال : «إن الله قد صدقك يا زيد» رواه البخاري (٤٦١٩) .

فما وقع من الكيد والإستهزاء أثار حمية المسلمين لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وأيقظهم من سباتهم ، وبصرهم بأعدائهم ؛ فهي طعنة آلمت ولكنها أيقظت ، فمثل هذه الهجمات صارت سبباً في حصول خير كثير للمسلمين ، وحصول الخزي والصغار لأعدائهم .

جاءت محنة الإفك منطوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها ، فلو كان الوحي أمراً ذاتياً غير منفصل عن شخصية الرسول ﷺ ، لما عاش الرسول ﷺ تلك المحنة بكل أبعادها شهراً كاملاً ، ولكن الحقيقة التي تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته .

ومن حكمته سبحانه في هذه الواقعة أن شرع بعض الأحكام التي تساهم في المحافظة على أعراض المؤمنين، ولذلك نزلت سورة النور، التي تحدثت عن حكم الزاني والزانية وعن قبح فاحشة الزنا، وربى سبحانه المؤمنين على منهج الثبت، وحماية الأعراض، وحسن الظن بالمؤمنين، وعما يجب على الحاكم أن يفعله إذا ما رمى أحد الزوجين صاحبه، وعن العقوبة التي أوجبها الله على الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى غير ذلك من الأحكام، وهكذا تترى الأمة من خلال الأحداث التي تقع وفي هذا المعنى الكثير من الكتاب والسنة.

والآن أترككم مع عائشة رضي الله عنها وهي تسرد قصة ألمها وصبرها وفوزها ببرائتها من فوق سبع سموات من عند الله فعش معها وسترى كيف ستتألم بألمها ويعتصر قلبك لحزنها ليس لأنها زوجة نبينا ﷺ فحسب بل قصة امرأة شريفة عفيفة طعنت بأعز ما تملكه كل أنثى ألا وهو شرفها ظلماً وبهتاناً، ثم أضف إلى ذلك أن هذه المرأة هي زوجة محمد ﷺ نور الهدى وإمام المتقين الذي طهره الله تعالى من كل خبث، ومما يدعوا إلى التعجب أن الله تبارك وتعالى أرسل جبريل ليأمر نبيه بخلع نعله لأن فيها نجسا وهو نجس منفصل عن جسده.

فعن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك المسلمون ألقوا نعالهم فلما قضى النبي ﷺ قال: «ما حملكم على إلقاءكم نعالكم؟» قالوا: رأيناك ألقيت فألقينا، فقال رسول الله ﷺ: «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيهما قذراً أو أذى، فإذا جاء أحدكم المسجد فليُنظر، فإن رأى في نعله قذراً فليمسحه ثم ليصل فيه» مسند عبد بن حميد (١/٣).

فهل يقر عاقل أن يبقى الله خبثاً أو امرأة فاجرة في بيت رسول الله ﷺ، وهو يأمره بخلع نعله في الصلاة لأنها تحمل خبثاً ونجساً سبحانه هذا بهتان عظيم ولكنها عداوة الإسلام وكرهه.

الحادثة كلفت أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلفت الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل، وأدمى قلب رسول الله ﷺ، وقلب زوجة عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل.. شهراً كاملاً، علقها بحبال الشك والقلق والألم مما لا يطيقه بشر ولك أن تتخيل كيف يهنأ إنسان بطعام أو شراب أو نوم وقد تكلم في عرضة رجل أو امرأة واحدة فكيف بمدينة بأكملها ليس لها إلا حديث عائشة زوج الحبيب ﷺ.

لذا كان التثبت مطلب شرعي وأمر إلهي كما قال جل وعلا:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا
فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. وفي قراءة أخرى ﴿فتثبتوا﴾.

وحذر نبينا ﷺ أشد التحذير من النقل لكل ما يسمعه المرء
فقال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» رواه مسلم.

وفي رواية أبي هريرة: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما
سمع».

قال النووي: «فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب فإذا
حدّث بكل ما سمع فقد كذب إخباره بما لم يكن، والكذب الإخبار
عن الشيء بخلاف ما هو ولا يشترط فيه التعمد».

قصة الإفك :

أخرج البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات) حديث ٤٤٨٠ :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ حَدِيثَ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللَّهُ وَكُلُّ حَدَّثَنِي بِطَائِفَةٍ مِنْ حَدِيثِهَا وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصًا وَقَدْ وَعَيْتَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا ذَكَرُوا أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ ﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ فَيَسِرُنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ

وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتِ
حَتَّى جَاوَزْتَ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتِ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ
فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ
فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا
يَرْحَلُونَ بِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ
أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا
لَمْ يَهْبُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ
يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ نَقْلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً
حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا
اسْتَمَرَ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ
مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي فِيرْجِعُوا إِلَيَّ
فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ
مُعْطَلٍ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادْلَجَ
فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَنِي
وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيَّ الْحِجَابُ فَاسْتَيْقَظْتُ
بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي وَاللَّهِ مَا
كَلَمَنِي وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ

فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكَبَتْهَا فَاَنْطَلَقَ يَقْدُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْتَا
الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي
شَأْنِي وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ فَقَدِمْتُ
الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ
الْإِفْكِ وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيْنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا
أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ
أَرَاهُ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَيَسَلُّ ثُمَّ يَقُولُ كَيْفَ تَيْكُمُ؟ فَذَلِكَ يَرِيْنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ
حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقِهْتُ وَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ
الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرِّزْنَا وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ
نَتَّخِذَ الْكُفْ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّبَرُّزِ
وَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُفِّ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ
مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُحْمٍ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا ابْنَةُ
صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُنْثَانَةَ ابْنُ
عَبَادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنَةُ أَبِي رُحْمٍ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا
مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ تَعَسَ مِسْطَحُ فَقُلْتُ
لَهَا بئسَ مَا قُلْتَ تَسْبِيْنِ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا قَالَتْ أَيْ هَتَاهُ أَلَمْ

تَسْمَعِي مَا قَالَ ، قُلْتُ وَمَاذَا قَالَ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ
فَارْزَدَتْ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ تَيْكُمُ؟ قُلْتُ
أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيِّقَنَّ الْخَبَرَ مِنْ
قَبْلِهِمَا فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ أَبَوَيَّ
فَقُلْتُ لِأُمِّي يَا هَتَّاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ : أَيُّ بَنِيَّةٍ هَوْنِي
عَلَيْكَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّ مَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا
ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا قَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ قَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ
بِهَذَا؟ ! قَالَتْ فَبَكَيْتِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقُ لِي دَمْعٌ
وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتُ
الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ، قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ
فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ
بِرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَمْ
يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسْأَلُ الْجَارِيَةَ
تَصْدُقُكَ ، قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ

فَقَالَ : أَيُّ بَرِيرَةٍ هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يُرِيْبُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟ قَالَتْ لَهُ
بَرِيرَةُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصَهُ عَلَيْهَا
أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي
الدَّاجِنَ فَتَأْكُلُهُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَعَذَرَ
مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولَ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ
رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا
خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ
عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ أَعْذُرُكَ
مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبَنَا عَنْقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ
إِخْوَانِنَا الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ . قَالَتْ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ
وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ
فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلْهُ وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ
أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ
كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكَ ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ، فَثَارَ
الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ وَبَكَيْتَ يَوْمِي لَا
يُرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتَ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يُرْقَأُ لِي
دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَيْدِي قَالَتْ
فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنْ
الْأَنْصَارِ فَأَذْنَتْ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِيَ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ
دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ
قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا
يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ فَتَشْهَدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ: يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي
عَنْكَ كَذًا وَكَذًا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُتُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ
أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ ثُمَّ تُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ
بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحَسُّ مِنْهُ قَطْرَةً،
فَقُلْتُ لِإِبْنِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا
قَالَ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لِإِمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَتْ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَّةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ،
وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ
وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ أَنِّي بَرِيَّةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ لَا
تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَكِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ
تُصَدِّقُونِي وَإِنِّي وَاللَّهُ مَا أَجْدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو
يُوسُفَ ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ قَالَتْ ثُمَّ
تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي قَالَتْ وَأَنَا وَاللَّهُ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ
أَنِّي بَرِيَّةٌ وَاللَّهُ مُبَرِّئِي بِرَاءَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهُ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزِلَ
فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى وَلِشَأْنِي كَانَ أَحَقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهَ بِهَا، قَالَتْ
فَوَاللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ
مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَخَذَهُ مَا
كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ
الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي مِنْ ثَقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ
عَلَيْهِ قَالَتْ فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأكَ فَقَالَتْ لِي أُمِّي قَوْمِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا
 أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي قَالَتْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ
 عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ
 الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ
 مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إِلَى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فَقَالَ أَبُو
 بَكْرٍ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ
 الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ زَوْجَ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِي مَا عَلِمْتَ أَوْ مَا رَأَيْتَ
 قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا
 خَيْرًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ وَطَفِقتُ أُخْتُهَا حَمْنَةَ بِنْتُ
 جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَهَذَا مَا
 انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ وَفِي رِوَايَةٍ عَلَّقَهَا الْبُخَارِيُّ
 وَوَصَلَهَا مُسْلِمٌ (وَكَانَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِهِ مِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ وَحَسَّانُ

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ
وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ وَحَمَنَهُ ﴿١٠﴾ وَلِإِصْحَابِ السُّنَنِ ﴿١١﴾ لَمَّا نَزَلَ
عُذْرِي قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ ذَلِكَ
وَتَلَا يَعْنِي الْقُرْآنَ فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْمِنْبَرِ أَمَرَ بِالرَّجُلَيْنِ وَالْمَرْأَةِ
فَضْرَبُوا حَدَّهُمْ) وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من
حديث محمد بن إسحاق.

شرح الحديث :

قوله : «عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ»

ترجمة عائشة رضي الله عنها :

هي الصديقة بنت الصديق المبرأه البريئة خصها الله تبارك وتعالى بمزيد فضل على نساء العالمين فهي من أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه كما ثبت عنه ذلك في البخاري وغيره وقد سئل أي الناس أحب إليك قال عائشة قيل فمن الرجال قال أبوها ولم يتزوج امرأة بكرا غيرها، هي عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي ﷺ وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بستين هذا قول أبي عبيدة وقال غيره: «ثلاث سنين وهي بنت ست سنين» وقيل: «بنت سبع وبنى بها بالمدينة وهي ابنة تسع» وكانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له وكان رسول الله ﷺ قد أُرِيَ عائشة في المنام في سرقة من حرير فتوفيت خديجة فقال: إن يكن هذا من عند الله يمضه فتزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين فيما ذكر الزبير وكان موت خديجة قبل مخرجه إلى المدينة مهاجراً بثلاث سنين هذا أولى ما قيل في ذلك

وأصححه إن شاء الله تعالى وقد قيل في موت خديجة إنه كان قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع.

وذكر الزبير بن بكار عن محمد بن محمد بن الحسن عن أسامة ابن حفص عن يونس عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ تزوج عائشة بنت أبي بكر الصديق في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وأعرس بها في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره إلى المدينة.

قالت عائشة: «تزوجني رسول الله ﷺ بعد متوفى خديجة وقبل مخرجه إلى المدينة بستين أو ثلاث وأنا بنت ست أو سبع».

قال أبو عمر: «كان نكاحه ﷺ عائشة في شوال وابتناؤه بها في شوال وكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبها في شوال على أزواجهن وتقول: هل كان في نسائه عنده أحضى مني وقد نكحني وابتنى بي في شوال وتوفي عنها ﷺ وهي بنت ثمان عشرة سنة وكان مكثها معه ﷺ تسع سنين».

روى أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: «تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين وقبض عني وأن ابنة ثمان عشرة سنة».

قال أبو عمر: «لم ينكح ﷺ بكرةً غيرها واستأذنت رسول الله ﷺ في الكنية فقال لها: «اكتنى بابنك عبد الله بن الزبير»». يعني ابن أختها. وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: حدثني الصادقة ابنة الصديق البرية المبرأة بكذا وكذا ذكره الشعبي عن مسروق وقال أبو الضحى عن مسروق: «رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض» وقال عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة» وقال هشام بن عروة عن أبيه: «ما رأيت أحداً أعلم بفقهه ولا بطب ولا بشعر من عائشة».

وذكر الزبير قال: حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة فقل له ما أرواك يا أبا عبد الله قال: وما روايتي من رواية عائشة ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً، قال الزهري: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل».

وروى أهل البصرة عن أبي عثمان النهدي عن عمرو بن العاص سمعه يقول: قلت لرسول الله ﷺ: «أي الناس أحب إليك؟

قال : عائشة . قلت فمن الرجال؟ قال : أبوها» صححه الألباني (صحيح الجامع ١٧٧).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري وحديث أنس عن النبي ﷺ، قال : «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وفيهما يقول حسان بن ثابت :

حصان رزان ما تزن بريية	وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
عقيلة أصل من لؤي بن غالب	كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طهر الله خيمها	وطهرها من كل بغي وباطل
فإن كان ما قد قيل عني قلته	فلا رفعت صوتي إلى أنامل
وإن الذي قد قيل ليس بلائط	بها الدهر بل قول امرئ متمحل
فكيف وودي ما حييت ونصرتي	لآل رسول الله زين المحافل
رأيتك وليغفر لك الله حرة	من المحصنات غير ذات العوائل

قال أبو عمر : «أمر النبي ﷺ بالذين رموا عائشة بالإفك حين نزل القرآن ببراءتها فجلدوا الحد ثمانين فيما ذكر جماعة من أهل السير والعلم بالخبر». وقال قوم «إن حسان بن ثابت لم يجلد معهم ، ولا يصح عنه أن خاض في الإفك والقذف ويزعمون أنه

القائل : لقد ذاق عبد الله ما كان أهله ، وحمنة إذا قالوا هجيراً
ومسطح وعبد الله هو عبد الله بن أبي بن سلول».

وآخرون : «يصححون جلد حسان بن ثابت ويجعلونه من
جملة أهل الإفك في عائشة» وأنشد ابن إسحاق هذا البيت على
خلاف ما مضى في أبيات ذكرها فقال قائل من المسلمين :

لقد ذاق حسان الذي كان أهله وحمنة إذ قالوا هجيراً ومسطح

قال ابن حجر : «وهذا عندي أصح لأن عبد الله بن أبي بن
سلول لم يكن ممن يستر جلده عن الجميع لو جلد».

وقد روي أن حسان بن ثابت استأذن على عائشة بعدما كف
بصره فأذنت له فدخل عليها فأكرمته فلما خرج من عندها قيل لها :
«أهذا من القوم؟ قالت أليس يقول :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وفاء

هذا البيت يغفر له كل ذنب.

وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين وذكره المدايني عن سفيان
بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه ، وقال خليفة بن خياط وقد
قيل : إنها توفيت سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة

خلت من رمضان أمرت أن تدفن ليلاً فدفنت بعد الوتر بالبقيع
وصلى عليها أبو هريرة ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا
الزبير والقاسم بن محمد وعبد الله ابن محمد بن أبي بكر وعبد الله
بن عبد الرحمن بن أبي بكر فالله أعلم ذكر ذلك صالح بن الجويه
والزبير وجماعة من أهل السير والخبر (الإستيعاب في معرفة الأصحاب (٢) /
١٠٨).

وأذا ذكرت عائشة ذكر أبوها رضي الله عنهما جميعاً.

ترجمة أبو بكر الصديق :

فهو شيخ الوقار ومعدن الإفتخار، والمقدم على سائر
المهاجرين والأنصار المسمى بعبد الله هو أبو بكر الصديق ابن أبي
قُحافة، أسلم أبوه أبو قحافة، عثمان بن عمرو بن كعب، يوم
الفتح، وبايع رسول الله ﷺ وعاش مدة حياته ﷺ ومدة خلافة
ولده، ومات في خلافة عمر، رضي الله عنهم أجمعين.

وأسلمت أمه رضي الله تعالى عنها أم الخير سلمى بنت صخر
قديماً في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وبايعت النبي ﷺ ذكره الحافظ
الدمشقي وصاحب الصفوة، ولد رضي الله تعالى عنه بعد مولده
عليه الصلاة والسلام بستتين وأشهر بمكة، وكان منشأ بمكة، لا

يخرج منها إلا لتجارة، وكان ذا مال جزيل في قومه، وثروة تامة، وإحسان، وتفضل فيهم، وكان من رؤساء قريش في الجاهلية، وأهل مشورتهم، ومحبباً فيهم.

وكان من أعف الناس في الجاهلية، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية».

كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، هذا قول أهل النسب الزبيري وغيره، لا يختلفون أن أبا بكر رضي الله عنه شهد بدرًا بعد مهاجرته مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وأنه لم يكن رفيقه من أصحابه في هجرته غيره وهو كان مؤنسه في الغار إلى أن خرج معه مهاجرين، وهو أول من أسلم من الرجال في قول طائفة من أهل العلم بالسير والخبر، وأول من صلى مع رسول الله ﷺ. وكان يقال له عتيق واختلف العلماء في المعنى الذي قيل له به عتيق، فقال الليث بن سعد وجماعة معه: «إنما قيل له عتيق لجماله وعتاقة وجهه». وقال مصعب الزبيري وطائفة من أهل النسب: «إنما سمي أبو بكر عتيقاً لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به». وقال آخرون: «كان له أخوان أحدهما: يسمى عتيقاً مات عتيق قبله، فسمي باسمه».

وقال آخرون: «إنما سمي عتيقاً لأن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى هذا». فسمي عتيقاً بذلك» والحديث رواه الحاكم في مستدركه (٤٣٧٨).

وعن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: «والله إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله ﷺ في الفناء وأصحابه، وبينهم الستر إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى هذا». قالت: وإن اسمه الذي سماه أهله لعبد الله بن عثمان، فغلب عليه اسم عتيق.

وعن الشعبي قال: «سألت ابن عباس أو سئل: أي الناس كان أول إسلاماً؟ فقال: أما سمعت قول حسان:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقةً فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاهما بما حملا»

وسمي الصديق لبداره إلى تصديق رسول الله ﷺ في كل ما جاء به ﷺ. وقيل: «بل قيل له الصديق لتصديقه له في خبر الإسراء».

وكان في الجاهلية وجيهاً رئيساً من رؤساء قريش ، وإليه كان
الأشناق في الجاهلية والأشناق : «الديات» ، كان إذا حمل شيئاً
قالت فيه قريش : صدقوه وأمضوا حمالته ، وحمالة من قام معه أبو
بكر وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه.

وأسلم على يد أبي بكر : الزبير وعثمان وطلحة وعبد الرحمن
بن عوف.

وروى سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : «أسلم
أبو بكر وله أربعون ألفاً أنفقها كلها على رسول الله ﷺ في سبيل
الله. وقال رسول الله ﷺ : «ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر» .
وأعتق أبو بكر سبعة كانوا يعذبون في الله منهم : بلال وعامر بن
فهيرة.

وفي حديث التخيير قال علي رضي الله عنه : «فكان رسول
الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به».

وقال رسول الله ﷺ : «دعوا لي صاحبي ، فإنكم قلت لي :
كذبت ، وقال لي : صدقت». وقال رسول الله ﷺ في كلام البقرة
والذئب والحديثان عند البخاري ومسلم : «آمنت بهذا أنا وأبو بكر
وعمر وما هما». فهو أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ وقال عمرو

بن العاص: «يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها».

وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكرٍ، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكرٍ خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقيين في المسجد خوذة إلا خوذة أبي بكرٍ».

تعريف الإفك:

قالت: «حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ»: الإفك الكذب، وقد أَفَكَ بِأَفْكَ بالكسر وَرَجُلٌ أَفَّاكَ أَي كَذَّابٌ، وَالْأَفْكَ بِالْفَتْحِ مصدر أَفَكَهُ أَي قَلَبَهُ وَصَرَفَهُ عَنِ الشَّيْءِ وَبَابُهُ ضَرْبٌ. ومنه قوله تعالى: ﴿أَجِئْنَا لِتُفَكِّكُنَا عَنْ مَهْتِنَا﴾ وَأَتَفَكَّتِ الْبَلَدَةُ بِأَهْلِهَا انْقَلَبَتْ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ الْمُدُنُ الَّتِي قَلَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْمِ لُوطٍ. وَالْمُؤْتَفِكَاتُ أَيْضاً الرِّيحُ الَّتِي تَخْتَلِقُ مَهَابُهُ. «مختار الصحاح (١ / ١١)».

قالت: «مَا قَالُوا فَبَرَّاهَا اللَّهُ وَكُلُّ حَدَّثَنِي بِطَائِفَةٍ مِنْ حَدِيثِهَا وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثْبَتَ لَهُ اقْتِصَاصًا»: أَي أَحْفَظُ وَأَحْسَنُ إِيرَادًا وَسَرْدًا لِلْحَدِيثِ. «وَقَدْ وَعَيْتَ عَنْ كُلِّ

وَاحِدٌ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا ذَكَرُوا أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ».

القرعة سنة لكل من أراد العدل بين الشركاء :

هو دليل مالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات وفي العتق والوصايا والقسمة بين الشركات ونحو ذلك قال ابن المنذر: «واستعمالها كالإجماع بين أهل العلم فيما يقسم بين الشركاء ولا معنى لقول من ردها» والمشهور عن أبي حنيفة إبطالها وقد وردت القرعة في كتاب الله في موضعين: أحدهما قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ والثاني قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ وكذا وردت في السنة خمسة أحاديث:

الأول: «إِذْ قَلَمْنَا فَادْهَبَا فَاقْتَسَمَا ثُمَّ تَوخَّيَا الْحَقَّ ثُمَّ اسْتَهِمَا، ثُمَّ لِيُحْلِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ» رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح

الجامع (٨٥٨) قاله في الرجلين الذين اختصما في ميراث لا بينه لهم فيه، الثاني: حديث: «أنه ﷺ كان إذا أراد السفر أقرع بين نسائه»^(١)، الثالث: «أنه ﷺ أقرع في ستة مملوكين»^(٢)، الرابع: قوله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول لاستهموا عليه»^(٣)، الخامس: حديث الزبير: «إن صفية جاءت بثوبين لتكفن فيهما حمزة، فوجدنا إلى جنبه قتيلاً، فقلنا: «لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب»، فوجدنا أحد الثوبين أوسع من الآخر، فأقرعنا عليهما ثم كفنا كل واحد في الثوب الذي خرج له»^(٤).

وقد دلت النصوص على مشروعيتها واستحبابها بين الشركاء المتخاصمين فيها تفك الخصومة وينزع الخلاف، فهي طريق شرعي، قال ابن بطلال عن القرعة: «سنة لكل من أراد العدل في القسمة بين الشركاء، والفقهاء متفقون على القول بها»^(٥)، وخالفهم بعض الكوفيين، وردت الأحاديث الواردة فيها، وزعموا أنه لا

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) أخرجه البيهقي - ٤٠١/٣. وحسنه الألباني في الإرواء (ج ٣/ ص ١٦٦).

(٥) شرح ابن بطلال - (ج ١٣/ ص ١٠).

معنى لها، وأنها تشبه الأضرار التي نهى الله عنها وحكى ابن المنذر عن أبي حنيفة أنه جوزها، وقال: «القرعة في القياس لا تستقيم».

وقال إسماعيل بن إسحاق: «وليس في القرعة إبطال شيء من الحق كما زعم الكوفيون، وإذا وجبت القسمة بين الشركاء في أرض أو دار، فعليهم أن يعدلوا ذلك بالقيمة، ثم يستهموا ويصير لكل واحد منهم ما وقع له بالقرعة مجتمعاً مما كان له في الملك مشاعاً، فيصير في موضع بعينه، ويكون له ذلك بالعوض الذي صار لشريكه؛ لأن مقادير ذلك قد عدل بالقيمة».

وإنما منعت القرعة أن يختار كل واحد منهم موضعاً بعينه، وهذا إنما يكون فيما يتشابه من الدور والأرض والعروض، وما تستوي رغبة الناس في كل موضع مما يقترع عليه.

وفي قوله عليه السلام: «كمثل قوم استهموا على سفينة»، جواز القرعة؛ لإقرار النبي ﷺ لها، وأنه لم يذم المستهمين في السفينة، ولا أبطل فعلهم، بل رضيهم وضربه مثلاً لمن نجى نفسه من الهلكة في دينه، وقد ذكر البخاري أحاديث كثيرة في القرعة في آخر كتاب الشهادات، وترجم له باب القرعة في المشكلات.

قال ابن القصار: «فاختلف قول مالك في ذلك، فقال: «ليس له أن يسافر بمن شاء منهن بغير قرعة»، وهو قول أبي حنيفة، والشافعي، وقال مرة: «له أن يسافر بمن شاء منهن بغير قرعة». ووجه القول الأول حديث عائشة، أن النبي عليه السلام كان إذا سافر أقرع بين نسائه، وفعله سنة لا يجوز العدول عنها، ووجه القول الثاني أن له ذلك بغير قرعة هو أن ضرورته في السفر أشد منها في الحضر، فيحتاج إلى من هي أرفق به من نسائه، وأعون له على أموره، وأقوى على الحركة، فلذلك جاز له بغير قرعة».

وفيه: أن الاستهام بين النساء من السنن وليس من الفرائض، يدل على ذلك أن مدة السفر لا تحاسب بها المتخلفة من النساء العادية، بل يتدئ القسم بينهن إذا قدم على سبيل ما تقدم قبل سفره، ولا خلاف بين أئمة الفتوى في أن الحاضرة لا تقاضي المسافرة بشيء من الأيام التي انفردت بها في السفر عند قدومه، ويعدل بينهن فيما يستقبل، ذكره ابن المنذر، عن مالك، والكوفيين والشافعي، وأبي عبيد، وأبي ثور.

وذكر ابن المنذر: «أن القسمة تجب بينهن كما تجب النفقة، وهذا يدل أن القسم بينهن فريضة، وقول أهل العلم يدل على ذلك».

قال مالك: «الصغيرة التي قد جومت والكبيرة البالغ في القسم سواء». وقال الكوفيون في المرأة لم تبلغ إذا كان قد جامعها: «أنها والتي قد أدركت في القسم سواء»، وهو قول أبي ثور. وقال الشافعي: «إذا أعطاهما مالا على أن تحلله من يومها وليلتها فقبلت، فالعطية مردودة، وعليه أن يوفيهما حقها».

وقد أثبت النبي ﷺ القرعة في الحقوق التي يزدهم عليها ويتنازع فيها كالأذان والصلاة في الصف الأول كما جاء في الحديث: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» ومعناه أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه، ثم لم يجدوا طريقاً يحصلونه به، أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا في تحصيله، ولو يعلمون ما في الصف الأول من الفضيلة، وجاءوا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم، ثم لم يسمح بعضهم لبعض به، لاقترعوا عليه.

(وهذا فعل لا يدل على الوجوب، وذهب الشافعي إلى وجوبه، وذهبت الهادوية إلى أن له السفر بمن شاء وأنه لا تلزمه القرعة قالوا لأنه لا يجب عليه القسم في السفر، وفعله ﷺ إنما كان من مكارم أخلاقه، ولطف شمائله، وحسن معاملته فإن سافر

بزوجة فلا يجب القضاء لغير من سافر بها، وقال أبو حنيفة يجب القضاء سواء كان سفره بقرعة أو بغيرها).

والراجع ما قال به الجمهور من مشروعية القرعة بدليل الكتاب والسنة كما سبق. انظر فتح الباري ٢٩٤/٥ والطرق الحكيمة، لابن القيم ٣٥٤ وتكملة فتح القدير ٣٦٣/٨ وأحكام القرآن، لابن العربي ١٦٢٣/٤ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٢٦/١٥ وأبحاث هيئة كبار العلماء ٣٨/٢.

ولا تشترط القرعة بين النساء إذا اختلفت أحوالهن فقد يتسبب اصطحاب أحدهن بالضرر والمشقة للزوج.

قال أبو العباس القرطبي: «والذي يقع لي أن هذا ليس بخلاف في أصل القرعة في هذا، وإنما هذا لاختلاف أحوال النساء، فإذا كان فيهن من تصلح للسفر ومن لا تصلح تعيين من تصلح ولا يمكن أن يقال يجب أن يسافر بمن لا تصلح؛ لأن ذلك ضرر أو مشقة عليه «ولا ضرر ولا ضرار» وإنما تدخل القرعة إذا كان كلهن صالحات للسفر فحينئذ تتعين القرعة؛ لأنه لو أخرج واحدة منهن بغير قرعة لخيف أن يكون ذلك ميلاً إليها ولكان للأخرى مطالبته بحقها من ذلك، فإذا خرج بمن وقعت عليها القرعة انقطعت حجة الأخرى وارتفعت التهمة عنه وطاب قلب من بقى منهن والله أعلم».

طرح الشريب (ج ٨ / ص ٢٥١).

كيفية القرعة :

وكيفية القرعة تكون بالخواتيم يؤخذ خاتم هذا وخاتم هذا ويدفعان إلى رجل فيخرج منهما واحداً وعند الشافعي يجعل رقاعاً صغاراً يكتب في كل واحد اسم ذي السهم ثم يجعل بندق طين ويغطي عليها ثوب ثم يدخل رجل يده فيخرج بندقه وينظر من صاحبها فيدفعها إليه.

قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله: (وأىُّ طريق أقرع به فإنه جائز؛ لأنه ليس لها كَيْفِيَّةٌ شرعيةٌ فيرجع إلى ما اصطُلِحَ عليه). كتب ورسائل للعثيمين (١٥٩ / ١٢).

وقال أبو عبيد بن سلام: «عمل بالقرعة ثلاثة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نبينا ويونس وزكريا عليهم الصلاة والسلام».

وفيه من الفقه كذلك خروج النساء في الغزو؛ قال ابن عبد البر: (وخروجهن مع الرجال في الغزو مباح إذا كان العسكر كثيراً تؤمن عليه الغلبة) وفي الصحيح من حديث أنس: «كان رسول الله ﷺ يغزوا بأُمِّ سُلَيْمٍ ونسوة من الأنصار ليسقين الماء ويداوين الجرحى» قال النووي: «وهذه المداواة لمحارمهن وأزواجهن، وما

كان منها لغيرهم لا يكون فيه مس بشرة إلا في موضع الحاجة». شرح النووي على مسلم (٦ / ٢٧٠).

وروى الإمام أحمد: «أنّ ست نسوة من نساء المؤمنين كن مع الجيش الذي حاصر "خيبر": يتناولن السهام، ويسقين السويق، ويداوين الجرحى، ويغزلن الشعر، ويعنّ في سبيل الله، وقد أعطاهنّ النبي ﷺ نصيباً من الغنيمة».

قالت: «فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ»: وهي
غزوة بني المصطلق وخرج مع رسول الله ﷺ بشرٌ كثيرٌ من المنافقين لم يخرجوا في غزاةٍ قط مثلها، ليس بهم رغبةٌ في الجهاد إلا أن يصيبوا من عرض الدنيا وتسمى بالمريسيع وهو ماء لبني خزاعة والمصطلق بطن من خزاعة وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي كان قد جمع الجموع لمحاربة النبي ﷺ فخرج رسول الله ﷺ وخرج معه كثير من المنافقين وكان معه ثلاثون من الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للأنصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة مولاه وقيل أبا ذر الغفاري، وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وقتل رسول الله ﷺ جاسوساً للمشركين وبلغ عليه السلام المريسيع من

ناحية قديد إلى الساحل وصف أصحابه للقتال ودفع راية المهاجرين
لأبي بكر رضي الله عنه والأنصار لسعد بن عباد وحمل المسلمون
على المشركين فقتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمئة
وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاة ولم يقتل من
المسلمين إلا رجل واحد وهو هشام بن صبابه وقد قتل خطأ أصابه
رجل من الأنصار من رهط عباد بن الصامت وهو يرى أنه من
العدو وكانت من جملة السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار
رئيس بني المصطلق، وعن عائشة قالت: «لما قسم رسول الله ﷺ
سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت
بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها وكانت امرأة
حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأنت رسول الله ﷺ
تستعينه في كتابتها»، قالت عائشة: «فوالله ما هو إلا أن رأيته
فكرهتها وقلت يرى منها ما قد رأيت» فلما دخلت على رسول
الله ﷺ قالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد
أصابني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعني
على مكاتبتك فقال رسول الله ﷺ أو خير من ذلك أؤدي عنك
كتابتك وأتزوجك فقالت نعم، ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه
قد تزوجها فقالوا أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم

من بني المصطلق فلقد أعتق بها مائة من أهل بيت المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها.

ولما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها وقسم لها وكانت حين تزوجها رسول الله ﷺ بنت عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين وهي بنت خمس وستين سنة وبسبب زواجها هدى الله أكثر بني المصطلق إلى الإسلام ثم أسلم الحارث ومن هنا تظهر حكمة رسول الله في زواجها.

قالت : «وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةٍ بِالرَّحِيلِ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ» : هو المكان والمسكن أي عدت إلى مكاني فَلَمَسْتُ صَدْرِي ، فَإِذَا عِقْدٌ مِنْ جَزَعٍ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ : أما العقد فمعروف نحو القلادة والجزع بفتح الجيم واسكان الزاي وهو خرز يمانى وأما ظفار فبفتح الظاء المعجمة وكسر الراء وهي مبنية على الكسر تقول هذه ظفار ودخلت ظفار وإلى ظفار بكسر الراء بلا تنوين في الأحوال كلها وهي قرية في اليمن وفي هذا دليل على جواز التزين بما لا ينافي شريعة الله وهو من الفطر التي جبلت عليها النساء كالزينة المكتسبة وهي ما تحاول المرأة أن تحسّن نفسها به ، كالثياب والحليّ

والكحل والخضاب والأصل في التزيّن: الاستحباب؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقوله ﷺ: «من أنعم الله عليه نعمةً، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته عليه» صححه الألباني في المشكاة (٤٩٣/٢).

ففي هذه الآية دلالة على استحباب لبس الرّفع من الثياب، والتّجمل بها في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس وزيارة الإخوان. قال أبو العالية: «كان المسلمون إذا تزاوروا تجمّلوا»، وينبغي ألا يقصد بالتزيّن التّكبر ولا الخيلاء، لأنّ قصد ذلك حرام.

قال ابن عابدين في حاشيته ما نصّه: «اعلم أنّه لا تلازم بين قصد الجمال وقصد الزينة، فالقصد الأوّل: لدفع الشين وإقامة ما به الوقار وإظهار النعمة، شكراً لا فخراً، وهو أثر أدب النفس وشهامتها».

وللتزيّن أحكاماً تكليفيّة فهي تدور بين الواجب والمستحب والمحرّم والمكروه.

فمن أمثلة الواجب: ستر العورة، وتزيّن الزّوجة لزوجها متى طلب منها ذلك.

ومن أمثلة المستحب: تزيّن الرّجل للجمعة والعيد، وخضاب الشّيب للرّجل والمرأة.

ومن أمثلة المحرم: تزيين المرأة للرجال الأجانب أو نتف الحاجب ووصل الشعر وما يسمى بعمليات التجميل كتطويل الأنف وتقصيره وما فيه عبث بخلق الله ويستثنى من ذلك ما كان للضرورة لإعادة العضو لطبيعته عند تغييره بحادث وما شابه، وتشبه الرجال بالنساء والعكس في التزيين، وتزيين الرجل بالذهب ولبسه الحرير إلا لعارض، وتزيين معتدة الوفاة، وتزيين المحرم بما أمر باجتنابه كالطيب، وتزيين المرأة لغير زوجها.

ومن أمثلة المكروه: لبس المعصفر والمزعفر للرجال.

قالت: «وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ بِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي» :

وفيه من الفقه جواز خدمة الرجال لما يركبهن النساء من الدواب، واحتمالهن في الهودج.

قالت: «فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ وَكَانَ النَّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ» : العُلُقَةُ والعَلَاقُ ما فيه بُلْغَةٌ من الطعام إلى وقت الغذاء وقال اللحياني: «ما يأكل فلان إلا عُلُقَةً أي ما يمسك نفسه من الطعام» وفي الحديث: «وتجتزئُ

بالعُلُقَة» أي تكتفي بالبلغة من الطعام وفي حديث الإفك وإنما يأكلن العُلُقَة من الطعام قال الأزهري والعُلُقَة من الطعام والمركب ما يُتَبَلَّغُ به وإن لم يك). لسان العرب (١٠ / ٢٦١).

وفي بعض الروايات عن ابن الحداء «**لَمْ يَهْبُلْهُنَّ اللَّحْمُ**» بضم الياء وفتح الهاء وتشديد الباء المكسورة قال في الصحاح هَبَلَهُ اللحم إذا كَثُرَ عليه وركب بعضه بعضاً.

قالت : «**فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ نَقْلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ**»: أي لم يستنكروا ثقله وقد توزع الثقل ما بين الهودج والرهط من الرجال وعددهم أقل من عشرة وأكثر من ثلاثة فأنأ لهم أن يشعروا فقس نسبتها مع نسبة الهودج والرهط تعلم الفرق.

قالت : «**فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا وَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي**»: أي قصدت وتوجهت لمكاني الذي كنت به.

قالت : «وَلَظَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُوا إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ مُعْطَلٍ السَّلْمِيِّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ» : (هو صفوان بن المعطل بن ربيعة بالتصغير بن خزاعي بلفظ النسب بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان السلمي ثم الذكواني قال البغوي : سكن المدينة وشهد صفوان الخندق والمشاهد في قول الواقدي وقال أول مشاهده المريسيع وقصته مع حسان مشهورة أيضا ذكرها يونس بن بكير في زيادات المغازي موصولة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت وقعد صفوان بن المعطل لحسان فضربه بالسيف قائلًا :

تلق ذباب السيف مني فإنني غلام إذا هوجيت لست بشاعر

فجاء حسان إلى النبي ﷺ فاستعداه على صفوان فاستوهبه الضربة فوهبها له وذكره موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري نحوه وزاد أن سعد بن عبادة كفن صفوان حلة فقال رسول الله ﷺ كساه الله من حلل الجنة قال البغوي عن الواقدي يكنى أبا عمرو). الإصابة في تمييز الصحابة (٣ / ٤٤٠).

وكان صفوان بن المعطل السلمي يتخلف عن الناس فيُصب القدح والجراب والإدواة.

قالت : «فَادْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيَّ الْحِجَابُ
وفي رواية : «حِينَ عَرَفَنِي ، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي وَاللَّهِ مَا
كَلِمَنِي وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ» : (والجلباب هو ما تضعه المرأة على رأسها للتحجب والتستر به ، أمر الله سبحانه جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك حتى يعرفن بالعفة فلا يفتتن ولا يفتن غيرهن فيؤذيهن. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ، ويبدن عينا واحدة» ، وقال محمد ابن سيرين : «سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل : ﴿يَدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى».

ووجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء لا خاص بأزواجه ﷺ وإن كان أصل اللفظ خاصا بهن لأن عموم علتة دليل على عموم الحكم فيه ثم أخبر الله سبحانه أنه غفور رحيم عما سلف من التقصير في ذلك والحجاب من موافقات عمر رضي الله عنه

حيث قال: «وافقت ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (وآية الحجاب) قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت (آية الحجاب)، واجتمع نساء النبي في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قالت: «فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ»: شرع الله سبحانه الإسترجاع عند كل مصيبة صغيرة كانت أو كبيرة فيقول المرء عند نزول المصيبة: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي، وأخلف لي خير منها» فما قالها أحد إلا أخلفه الله تعالى خيرا من الرحمة والهداية والصبر قال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أم سلمة أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله، إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي وأخلف»

لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها»، قالت فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟! ثم إنني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. قالت أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت إن لي بنتاً وأنا غيور فقال «أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة».

قال القاضي عياض: «وهذا من صفوان لمعنيين: (أحدهما): أنها مصيبة لنسيان امرأة منفردة في قفر وليل مظلم والثاني لقيمها استرجاعه من نومها صيانة لها عن ندائها وكلامها». طرح الشريب (٨/ ٢٥٩).

قالت: «حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبَتْهَا فَأَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مَعْرَسِينَ» وفي رواية: «مُوغَرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ».

والتعريس هو النزول وموغرين بضم الميم وكسر الغين وهي شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء ومنه أخذ وغر الصدر وهو توقده من الغيظ بالحق وأوغر فلان إذا دخل في ذلك الوقت

كأصبح وأمسى وقد وقع عند مسلم عن عبد بن حميد قال قلت لعبد الرزاق ما قوله موغرين؟ قال: «الوغة شدة الحر».

ولا يتعارض اصطحاب عائشة رضي الله عنها إلى المدينة المنورة بحديث الخلوة: «لَا يَخْلُونَنَّ رَجُلٌ بامرأةٍ إِلَّا ومعهَا ذُو محرم» حيث أن اصطحابها من مواضع الضرورة فهي منقطعة في الطريق ويلزمه في هذا الحال اصطحابها إذا خاف عليها.

وقال النووي رحمه الله: «هذا استثناء منقطع؛ لأنه متى كان معها محرم لم تبق خلوة، فتقدير الحديث: لا يقعدن رجل مع امرأةٍ إِلَّا ومعهَا محرم».

وقوله ﷺ: «ومعهَا ذُو محرم» «يحتمل أن يريد محرماً لها، ويحتمل أن يريد محرماً لها أو له، وهذا الاحتمال الثاني هو الجاري على قواعد الفقهاء، فإنه لا فرق بين أن يكون معها محرم لها كابنها وأخيها وأمها وأختها، أو يكون محرماً له كأخته وبنته وعمته وخالته، فيجوز القعود معها في هذه الأحوال، ثم إن الحديث مخصوص أيضاً بالزوج، فإنه لو كان معها زوجها كان كالمحرم وأولى بالجواز، وأما إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معهما فهو حرام باتفاق العلماء، وكذا لو كان معهما من لا يستحي منه لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك، فإن وجوده

كالعدم، وكذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام، بخلاف ما لو اجتمع رجل بنسوة أجنب، فإن الصحيح جوازه، ويستثنى من هذا كله مواضع الضرورة، بأن يجد امرأة أجنبية منقطعة في الطريق أو نحو ذلك، فيباح له استصحابها، بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها، وهذا لا اختلاف فيه، ويدل عليه حديث عائشة في قصة الإفك. والله أعلم. (شرح النووي على مسلم (٥ / ٤)).

وقال العراقي رحمه الله: (استعمل الصمت في تلك الحالة أدباً وصيانة ولهول تلك الحالة التي هو فيها، وفيه إغاثة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار وحسن الأدب مع الأجنيات لاسيما في الخلوة بهن عن الضرورة في برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبراكه الجمل بغير كلام ولا سؤال وأنه ينبغي أن يمشي قدامها لا بجانبها ولا وراءها واستحباب الإيثار بالركوب). طرح الشريب (٨ / ٢٦٠).

قالت: «فَهَلْكَ مَنْ هَلَكَ» (وفي رواية علقها البخاري ووصلها مسلم: **«وكان الذين تكلموا به مسطح وحمنة وحسان وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره وحمنه»** وزاد في رواية: **«قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع، ويتحدث به عنده، فيقره ويشيعه**

ويستوشيه، قال عروة : لم يُسمَّ من أهل الإفك أيضاً إلا حسان بن ثابت، مسطح ابن أثاة، حمنة بن جحش، في ناسٍ آخرين، لا علم لي بهم غير أنهم عصبه، كما قال الله تعالى، قال عروة : وكانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول : إنه الذي قال :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وفاءً

وهذه أخلاق الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بدفع الغيبة والرد عن أعراض المسلمين فكيف بمن تعيش في بيت النبوة فلا فرق في تحريم الغيبة بين أن تكون لفظاً أو إشارة وضابط كل ما أفهمت به غيرك نقصا في مسلم فهو غيبة وكما أن الغيبة تحرم كذلك يحرم استماعها ويجب إنكارها إن لم يخف ضررا والعمل بحديث النبي ﷺ : «من رد عن عرض أخيه» أي منع غيبة عن أخيه «رد الله عن وجهه النار» أي صرف الله عن وجهه الراد نار جهنم. وقال المناوي : «أي عن ذاته العذاب وخص الوجه؛ لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان».

فإن خاف ضررا فليفارق ذلك المجلس وإن لم يقدر على
المفارقة اشتغل بذكر أو غيره فلا يضره بعد ذلك السماع من غير
استماع.

أما حسان: «فهو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو
بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري
الشاعر يكنى أبا الوليد وقيل يكنى أبا عبد الرحمن وقيل أبا الحسام
وأمه الفريعة بنت خالد بن خنيس بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن
ثعلبة بن الخزرج بن كعب ابن ساعدة الأنصارية كان يقال له شاعر
رسول الله ﷺ». الإستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٠٠).

ومن شعره قصيدته الدالية في مدح رسول الله:

ألم تر أن الله أرسل عبده	ببرهانه والله أعلى وأمجـد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فدو العرش محمود وهذا محمد
أغر عليه للنبوّة خاتم	من الله ميمون يلوح ويشهد

وأما مسطح: «فهو لقب وأصله عود من أعواد الخباء هو
عوف بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي.
يكنى أبا عباد وقيل: يكنى أبا عبد الله قاله محمد بن عمر الواقدي.

وهو المعروف بمسطح، شهد بدرًا، وتوفي سنة أربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين سنة، وقد قيل: إنه شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وغلب عليه مسطح واسمه عوف لا اختلاف في ذلك، وأمه فيما قال ابن شهاب في حديث الإفك أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف واسمها سلمى بنت صخر بن عامر وأمها ريطة بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه). الإستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٧٩).

وحمنة: «هي بنت جحش بن رباب الأسدية، من بني أسد بن خزيمة أخت زينب بنت جحش كانت عند مصعب بن عمير وقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمداً وعمران ابني طلحة بن عبيد الله وكانت تستحاض هي وأختها أم حبيبة بنت جحش روى عنها ابنها عمران بن طلحة بن عبيد الله) الإستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٥).

قالت: «وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ»: مولى يهود وحليف الشيطان وجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفساً من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويُشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه ولا يدعه يخمد أوقد ناراً في قلوب الموحدين المخلصين وكان قبل ذلك قد

أستحق القتل وأمتنع النبي ﷺ عن قتله فقد يرى الأمام في بعض الأحوال أن عدم القتل أجلب للمصلحة وأعظم دفعاً للمفاسد، ولهذا نظائر وأمثال فقد ترك النبي ﷺ قتل من يستحق القتل، كما في امتناعه ﷺ من قتل رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول؛ لئلا يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وترك ﷺ قتله؛ درءاً للفتنة كما في قصة الإفك، وأمتناعه كذلك من قتل حاطب رضي الله عنه؛ لأنه شهد بدرا، ودرأ عمر رضي الله عنه حد السرقة عن السارق؛ لظروف اقتضت ذلك، والإمام بحكم ما له من نظر شامل ومسئولية واسعة وإحساس بما يقع في بلاده وما يحيط بها أن يجلب مصلحة أو يدفع فساداً بما لا يتعارض مع حكم الله تعالى، ولما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله وهو صحابي جليل ألزم أباه بالاعتذار لرسول الله ﷺ عندما قال: «والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»، وفيه عند الترمذي أنه قال لأبيه: «والله لا تنفلت حتى تقرر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ولم يأذن لأبيه بدخول المدينة حتى اعتذر ورجع عن قوله، وقال: إنه الذليل، ورسول الله ﷺ هو العزيز، جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ يصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك الله عنه؟ فقال رسول

الله ﷻ: «إن ربي خيرني فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾».

"وسأزيد على السبعين".

فقال: إنه منافق أتصلي عليه؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. فأقر به أبو أسامة وقال: نعم. وأخرجاه في الصحيحين من حديث أبي أسامة.

قالت: «فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ»: هي مدينة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد تكررت كثيراً في السيرة، وهي أشهر من أن تُعرفَ هنا، ولها من التاريخ ما ملأ عشرات الكتب الضخام، كانت تسمى يثرب فسمّاها رسول الله ﷺ، المدينة، وكره أن تسمى يثرب، كانت المدينة عاصمة الإسلام ومنها انطلقت أعظم فتوحاته، وبها مرقد خير البشر، وفي الحديث: «إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»^(١). قالت: «فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا شَهْرًا»: (أي مرضت) قالت: «وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ» أي مندفعون ويكثرون في الحديث قالت: وَهُوَ

(١) رواه ابن حبان (٣٧٢٩) وأسناده صحيح على شرط الشيخين.

«يُرِيْنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَاهُ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي إِنَّْمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسَلُّ ثُمَّ يَقُولُ كَيْفَ تَيْكُمُ؟» : (وفي هذا دليل واضح على "بشرية الرسول ﷺ" بمعنى أنه يجري عليه ما يجري على الناس من البلاء والموت ومن الصحة والمرض وغيرها من الصفات البشرية فيكون ذلك أدعى لنجاح البلاغ والدعوة إلى الله. فبشريته ﷺ هي واحدة من القسمات التي شاركه فيها كل رسل الله تعالى منذ نوح إلى موسى عليه السلام الذين ولدوا جميعاً كما يولد سائر البشر عن طريق التزاوج بين رجل وامرأة. وليس ثمة طريق آخر باستثناء عيسى بن مريم عليه السلام وكان هذا خصوصية له جاوب الله سبحانه عليها في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] لم تحدث مع أي نبي قبله. وكذا ولادته ﷺ كانت إعلاناً لكونه بشراً من البشر يولد كما يولد البشر ويجري عليه من الأحوال في أكله وشربه، وفي نومه وصحوه، وفي رضاه وغضبه وغير ذلك مما يجري على البشر كالزواج والصحة والمرض والموت أيضاً. لذا كانت هذه البشرية هي السبيل إلى فهم الطبيعة البشرية وإدراك خصائصها وصفاتها فيتعامل معها بما يناسبها، وقد أمتدحه الله بها فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩] ولا ضير في ذلك كونه معصوماً فيما يرويه عن ربه من أحكام وتشريع لذلك أقر ببشريته الصريحة عندما طالبه الكفار بتفجير الينابيع والأنهار أو إسقاط كسفا من السماء أو غيرها مما لا يقدر عليه إلا الله:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَقٌّ تَفْجُرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٢٨﴾ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١٢٩﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿١٣٠﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفٍ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفْقِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٣١﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٤].

وعلى المعنى نفسه جاءت دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ [البقرة: ١٥١]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المؤمنون: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

وغير هذا كثير مما أكده القرآن وهو المنطق والحكمة التي اقتضتها مشيئته تعالى لما هو من خصائص الرسالات التي توجب أن يكون المرسل إلى الناس من جنسهم حتى يحسن إبلاغهم بما كلفه الله بإبلاغه إليهم وحتى يستأنسوا به ويفهموا عنه بل ويعاتبه ربه على كل خطأ بشري كما عاتبه في شأن الأسرى بيدر ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِرَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]. الترمذي (٣٠٨٤) وفي شأن ابن أم مكتوم: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١-٢]. انظر الترمذي (٣٣٣١) عن عائشة. وكذلك زيد بن حارثة وزينب بنت جحش ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وفيه أن حسن العشرة مع الأهل من جملة الأشياء المطلوبة في الدين ولم يكن النبي ﷺ يعامل أهله إلا بالرفق واللين وكان أحسن الناس عشرة لهم فكان يعتني بهن ويهتم بتفقد أحوالهن فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن واستقرأ أحوالهن فإذا جاء الليل انقلب إلى صاحبه النوبة وكان يرسل بنات الأنصار لعائشة يلعبن معها وإذا شربت شرب من موضع فمها وإذا تعرقت عرقا وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها ويقبلها وهو صائم وأراها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي

متكئة على منكبه وسابقها في السفر مرتين فسبقها وسبقته ثم قال هذه بتلك وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة ولما أراد أن يحمل صفية بنت حيي على بعير نصب لها فخذه لتضع رجلها عليه فلوت ساقها عليه وأن نساءه كن يراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل وهكذا.

فهو خير الناس لأهله روى ابن ماجه بسنده عن ابن عباس أنه رضي الله عنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وصححه الألباني: ٣٣١٤ صحيح الجامع.

قالت: «وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّىٰ خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقِهْتُ»: بفتح القاف ذكره ثعلب وبالكسر ذكره الجوهري هو من نقه فهو ناقه وهو الذي برئ من المرض وهو قريب عهد به لم يتراجع إليه كمال صحته.

قالت: «وَخَرَجْتُ مَعِيَ أُمُّ مِسْطَحٍ»: بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف واسمها سلمى بنت صخر بن عامر وأمها ريطة بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قالت: «قَبْلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا»: وهي مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها الواحد منصع وقال الأزهري: «أراه

موضعا بعينه خارج المدينة» وهو في الحديث صعيد أفيح خارج المدينة وقال ابن السكيت: «المناصع في اللغة المجالس» قولها متبرزنا بفتح الراء المشددة وبالزاي وهو الموضع الذي يتبرزون فيه أي يقضون فيه حاجتهم والبراز اسم ذلك الموضع أيضاً وفيه من الفقه جواز خروج النساء إلى حاجة الإنسان بغير إذن أزواجهن.

قالت : «وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ» : قولها الكنف بضم الكاف والنون جمع كنيف قال أهل اللغة الكنيف الساتر مطلقا وسمي به موضع الغائط لأنهم يستترون بها.

قالت : «قَرِيبًا مِنْ بَيْوتِنَا وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّبَرُّزِ وَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بَيْوتِنَا فَأَنْطَلَقَتْ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحَ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُحْمٍ بَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ ابْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنَةُ أَبِي رُحْمٍ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحَ فِي مِرْطِهَا» :

المرط بكسر الميم كساء من صوف قاله الداودي وقال ابن فارس «ملحفة يؤتزر بها» وقال الهروي: «المروط الأكسية» وعثرت أي سقطت.

قولها : «فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ» :

التعس الهلاك وأصله الكبّ هو ضد الانتعاش وقد تعس من باب قطع وأتعسه الله ، ويقال تعساً لفلان أي ألزمه الله هلاكاً^(١).

قولها : «فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتَ تَسْبِيْنُ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا» :

وفي رواية: عند أبي يعلى الموصلي (١٠ / ١٨٩) : «سبحان الله علام تسبين ابنك وهو من المهاجرين الأولين ، وقد شهد بدرا؟ فقالت : والله ما أسبه إلا فيك . قلت : وما شأني؟ فأخبرتني بالأمر ، فذهبت حاجتي فما أجد منها شيئاً» .

(١) مختار الصحاح (١ / ٣٩).

وفيه: فضيلة من شهد بدرًا من المسلمين وأن الدعاء عليهم وجفاء الكلمة منهم مما يجب أن ينكر كما أنكرته عائشة على أم مسطح في ابنها مع ما للأبوين من المقال مما ليس لغيرهما.

والمتواتر قطعاً أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ هم على الترتيب: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا محل إجماع ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على قول البعض ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم من شهد معركة بدر، ثم من شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديبية، ثم من أسلم قبل الفتح من الصحابة، ثم من أسلم بعد فتح مكة من الصحابة. وهذا قطعي بديهي متفق عليه عند أهل السنة والجماعة، فلا حاجة لسرد أدلتهم.

ومعركة بدر تجلت فيها أعظم التضحيات فقد قتل الوالد ولده والولد والده قتلوا أقربائهم وكان ذلك بعد سنة ونصف تقريباً من وصوله ﷺ وقع أول لقاء بين الحق والباطل، بين الإسلام والكفر. لقد دارت رحى أول معركة إسلامية على أرض بدر، وهي موضع يبعد عن المدينة (١٥٥ كيلو متر) جنوباً، وذلك في ١٧ رمضان في السنة الثانية من الهجرة، خرج معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ٨٢

أو ٨٣ أو ٨٦ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج. ولم يحتفلوا لهذا الخروج احتفالاً بليغاً، ولا اتخذوا أهبتهم كاملة، فلم يكن معهم إلا فرس أو فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيراً يتعاقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان رسول الله ﷺ وعلي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً واحداً. ودارت رحى الحرب فكتب الله للمسلمين النصر وتحول بعد ذلك تاريخ الأمة بعد ما انهزم فيها أعداء الله من المشركين شر هزيمة رغم ما يمتلكونه من العدد الكبير والعتاد العظيم، وبرغم ما كان عليه جيش المسلمين من قلة في العدد والعدة، وكانت هذه الموقعة إيذاناً بإعلان قوة الإسلام وعظمة دولته، بينما كانت إعلاناً بسقوط دولة الكفر وتضاؤل قوته؛ حيث قتل سبعين من قادة قريش وساداتها.

قولها : «قَالَتْ أَيُّ هَيْئَةٍ» : يا هذه وقيل يا امرأة وقيل يا بلهاء كأنها نسبتها على قلة المعرفة بمكائد الناس وشرورهم.

قولها : «أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ» : وفي ذلك جواز كتم ما يقال في الإنسان من القبيح عنه، كما قول الناس في عائشة عنها حتى أعلمتها أم مسطح به.

قولها : «فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ تَيْكُمُ» :

تيكم إشارة إلى المؤنث كذلك في المذكر وفيه من الفقه استحباب التسليم على أهل البيت وإن كان قد هجرها ولم يثبت أنه ﷺ قد هجرها في غير بيتها ولكنه كما وصفت عائشة أنها لم تجد اللطف الذي عهدته من النبي ﷺ ، والهجر مرحلة من مراحل العقاب والتأديب التي نص الله عليها عند النشوز وهو ارتفاع الزوجة على زوجها وبغضه والخروج عن طاعته لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُواهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].
وذهب الفقهاء على أن نشوز المرأة على زوجها حرام، لما ورد في تعظيم حق الزوج على زوجته ووجوب طاعتها له.

قال ابن عباس في كيفية الهجر:

«الهجران أن يكون الرجل وامرأته في فراش واحد ولا يجامعها». وقال السدي: «هجرها في المضجع أن يرقد معها ويوليها ظهره، ويطأها ولا يكلمها». وقال ابن عباس نحوه، قال: «يهجرها

بلسانه ويغلظ لها بالقول ، ولا يدع جماعها». ذكره الطبري فيكون معنى الآية على هذا القول: قولوا لهن من القول هجراً في تركهن مضاجعتكم» شرح ابن بطال - (١٣ / ٣٢١).

قولها : «قُلْتُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟» : للمرأة الخروج لزيارة والديها بإذن زوجها ، وليس لها الخروج بلا إذنه ، لأنَّ حقَّ الزوج واجب فلا يجوز تركه بما ليس بواجبٍ مهما كان سبب الزيارة ، ولا تخرج بغير إذنه إلا لضرورةٍ ، ولا يملك الزوج منعها من زيارتهما إلا مع ظنٍّ حصول ضررٍ يعرف بقرائن الأحوال بسبب زيارتهما لها ، فله منعهما حينئذٍ من زيارتها دفعاً للضرر.

قال ابن حجر الهيتمي: «وإذا اضطرت امرأة للخروج لزيارة والد خرجت بإذن زوجها غير متبرجة».

ونقل ابن حجر العسقلاني عن التَّوويّ عند التعليق على حديث: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن» أنه قال: «استدلَّ به على أنَّ المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه لتوجّه الأمر إلى الأزواج بالإذن ، وللزوج منع زوجته من الخروج من منزله إلى ما لها منه بدّ ، سواء أرادت زيارة والديها أو عيادتهما أو حضور جنازة أحدهما».

قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة: «طاعة زوجها أوجب عليها من أمها إلا أن يأذن لها».

وقد روى ابن بطّة في أحكام النساء عن أنس «إن رجلاً سافر ومنع زوجته من الخروج فمرض أبوها، فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادة أبيها فقال لها رسول الله ﷺ: «اتقي الله ولا تخالفي زوجك فأوحى الله إلى النبي ﷺ: «إني قد غفرت لها بطاعة زوجها».

ولأن طاعة الزوج واجبة، والعيادة غير واجبة فلا يجوز ترك الواجب لما ليس بواجب.

ولا ينبغي للزوج منع زوجته من عيادة والديها، وزيارتها لأن في منعها من ذلك قطيعه لهما، وحماً لزوجه على مخالفته، وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف، وليس هذا من المعاشرة بالمعروف».

قولها: «قَالَتُ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيِّقَنَّ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي يَا هَتَّاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟» :

وفي رواية بن إسحاق: «فقلت لأمي غفر الله لك يتحدث الناس بهذا ولا تذكرين لي».

وفي رواية بن حاطب عن علقمة «ورجعت إلى أبوي فقلت أما اتقيتما الله في وما وصلتما رحمي يتحدث الناس بهذا ولم تعلماني».

وفي رواية هشام بن عروة «فاستعبرت فبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فقال لأمي ما شأنها فقالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه فقال أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك فرجعت». وفي رواية معمر عند الطبراني «فقلت أمي لم تكن علمت ما قيل لها فأكبت تبكي ساعة ثم قال اسكتي يا بنية»^(١).

قولها: «فَقَالَتْ: أَيُّ بَنِيَّةٍ هَوَّنِي عَلَيْكَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّ مَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً»:

وضيئة على وزن فعيلة أي جميلة حسنة من الوضاعة وهو الحسن.

(١) فتح الباري ابن حجر (٨ / ٤٦٧).

قولها : «عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ» :

وهو جمع ضرة وزوجات الرجل ضرائر لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم.

«إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا» : استدلت بغيرة النساء وقلما تخلو امرأة من الغيرة بين بني جنسها لاسيما أن كان لها ضرائر وقد حدث ذلك من أمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين ذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكَ أَنْ يبدِلَهُ أزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ كُنَّ مُسَلِّمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَبَيَّنَتْ عِدَّتِ سَيِّحَتِ ثَبَّتِ وَأَبْكَرًا﴾ [التحریم: ٥]. روايات متعددة، منها ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش، ويمكنك عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : «أكلت مغاير؟» والمغاير : صمغ حلوه رائحة كريهة إني أجد منك ريح مغاير . فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال : بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود إليه، وقد حلفت، فلا تخبري بذلك أحدا، فنزلت هذه الآيات".

وفي رواية: أن التي شرب عندها العسل: حفصة بنت عمر،
وأن القائلة له ذلك: سودة بنت زمعة، وصفية بنت حيي.

وروى ابن جرير عن زيد بن أسلم: «أن رسول الله ﷺ أصاب
أم إبراهيم مارية، في بيت بعض نسائه وفي رواية: «في بيت حفصة
فقلت: يا رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها أي مارية عليه
حراما، وحلف بهذا...» فأنزل الله هذه الآيات.

قال القرطبي ما ملخصه: "وأصح هذه الأقوال أولها..
والصحيح أن التحريم كان في العسل، وأنه شربه عند زينب،
وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجرى ما جرى فحلف أن لا
يشربه وأسر ذلك، نزلت الآية في الجميع".

وقال ابن كثير بعد أن ساق عدداً من الروايات في هذا الشأن:
«والصحيح أن ذلك كان في تحريمه ﷺ للعسل». تفسير ابن كثير
(١٦٠/٨).

قال الخازن في تفسيره: «قال العلماء الصحيح في سبب نزول
الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير
الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح، قال النسائي

إِسْنَادُ حَدِيثِ عَائِشَةَ فِي الْعَسَلِ جَيِّدٌ صَحِيحٌ غَايَةٌ (تحفة الأحوذى)
(١٨٧ / ٨).

والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش.

قولها : «قَالَتُ سُبْحَانَ اللَّهِ» :

استفهام فيه معنى التعجب وتنزيهه لله عن كل ما لا ينبغي أن يُوصف به وقد جاءت على لسان رسول الله ﷺ في عدة مواضع منها: ما رواه البخاري في مواضع من صحيحه، وفي الأدب المفرد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن» وأقر الصحابة عليها في حديث الذئب: «بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منه شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السبع، ليس لها راع غيري» فقال الناس: سبحان الله، فقال رسول الله ﷺ: «فإني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر».

قولها : «أَوْ قَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ ! قَالَتُ فَبَكَيْتِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرَقًا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ» : استعارة للسهر ووقع في رواية مسروق عن أم رومان: «فخرت مغشيا عليها

فما استفاقت إلا وعليها حمى بنافض فطرحتها عليها ثيابها
فغطيتها».

استشارة الرسول ﷺ علي وأسامه :

قولها : «ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ» رضي الله عنه بن عبد المطلب بن هاشم
بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي يكنى أبا الحسن واسم أبيه
أبا طالب عبد مناف وقيل اسمه كنيته والأول أصح وكان يقال لعبد
المطلب شيبة الحمد واسم هاشم عمرو واسم عبد مناف المغيرة
واسم قصي زيد. وأم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم
بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي توفيت مسلمة قبل
الهجرة وقيل: إنها هاجرت.

كان علي رضي الله عنه أصغر ولد أبي طالب وكان أصغر من
جعفر بعشر سنين وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وكان
عقيل أصغر من طالب بعشر سنين وروى عن سلمان وأبي ذر
والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن الأرقم أن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من أسلم وفضله هؤلاء على
غيره.

وقال ابن إسحاق: أول من آمن بالله وبرسوله محمد ﷺ من الرجال علي بن أبي طالب وهو قول ابن شهاب إلا أنه قال: من الرجال بعد خديجة وهو قول الجميع في خديجة.

قولها: «وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ»: أسامة بن زيد بن الحارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى الكلبي يكنى أسامة أبا زيد وقيل أبا محمد يقال له الحب بن الحب.

وقال ابن إسحاق: «زيد بن الحارثة بن شرحبيل وخالفه الناس فقالوا شراحيل وأم أسامة أم ايمن واسمها بركة مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته واختلف في سنه يوم مات النبي ﷺ فقيل ابن عشرين وقيل ابن تسع عشرة وقيل ابن ثماني عشرة سكن بعد النبي ﷺ وادي القرى ثم عاد إلى المدينة فمات بالجرف في آخر خلافة معاوية» انتهى.

وفيه: مشروعية مشاورة الرجل بطائفة في فراق أهله لقول قيل.

قولها: «حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ»: يستشيرهما في طلاق أهله فالشورى واحدة من الصفات المميزة للمؤمنين والمؤمنات، في كل ميادين التدبير وصناعة القرار .. والأسرة هي الميدان التأسيسي والأول في هذه الميادين لتتأسس

التدابير والقرارات على الرضا ومن أراد المشورة فلا بد أن يتشاور مع مخلص يشعر بشعورك ويتألم لآلامك يفرح بفرحك ويحزن لحزنك، وإلا فلا خير لك في مشاورته، وأن يكون مع من يعرف الأمور بمصادرها ومواردها، فالجاهل وإن كان حسن النية إلا أن جهله وعدم معرفته قد يوقعك في المحذور، والناس في هذا يختلفون بحسب معرفتهم، فأهل العلم والدين نستشيرهم في الأمور الدينية، وأهل البيع والسلع نستشيرهم في أمور البيع والشراء، وهكذا كل على حسب معرفته وفهمه، ونجمع هذا كله تحت صاحب الدين والتقوى لله عز وجل فهو من يصدقك في كل شيء لذا استشار النبي ﷺ أقرب الناس إليه وأعرفهم بأهله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

ولو استغنى أحد عنها لاستغنى عنها رسول الله ﷺ الذي كان يشاور أصحابه عند الملمات، بل كان يأخذ برأيهم، ولو خالف رأيه أحياناً كما حدث في أحد.

وقد قيل:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف، ورأي الفرد يشقيها

وقيل :

ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل واد قلبه فيرى ويعرف ما يقول فينطق

ويقول الآخر :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيبًا ولا تعصه

وقد قيل : «الناس ثلاثة: رجل كامل وهو الذي له عقل
ويستشير، ونصف رجل: وهو الذي له عقل ولا يستشير، والثالث:
لا شيء، وهو الذي لا عقل له ولا يستشير».

قولها : «فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ
لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا
وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ
سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدُّقُكَ» :

وهنا قد يسئل سائل لماذا أشار عليه علي رضي الله عنه بالفراق تعريضا ولم يقل مثلما قال أسامة؟ أجاب ابن حجر فقال: «أن الكلام الذي قاله عليّ إنما حمّله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى علي رضي الله عنه في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن تتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما، والعلة في اختصاص علي وأسامه بالمشاورة أن عليا كان عنده كالولد لأنه رباه من حال صغره ثم لم يفارقه بل وازداد اتصاله بتزوج فاطمة فلذلك كان مخصوصا بالمشاورة فيما يتعلق بأهله لمزيد اطلاعه على أحواله أكثر من غيره وكان أهل مشورته فيما يتعلق بالأمور العامة أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وأما أسامة فهو كعلي في طول الملازمة ومزيد الاختصاص والمحبة؛ ولذلك كانوا يطلقون عليه أنه حب رسول الله ﷺ وخصه دون أبيه وأمه لكونه كان شابا كعلي وأن كان علياً رضي الله عنه أسن منه وذلك أن للشباب من صفاء الذهن ما ليس لغيره ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المسن لأن المسن غالبا يحسب العاقبة فرّما أخفى ما يظهر له رعاية للقتال تارة والمسئول عنه أخرى» فتح الباري (٤٦٩/٨).

وقال النووي: «رأى علي رضي الله عنه أن ذلك هو المصلحة في حق النبي، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره». شرح مسلم (٦٣٤/٥).

كما أن عليا رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرّض بأخلاقها، أو تناولها بسوء، بل كان رأيه خيراً لها، فقد أشار رضي الله عنه بفراقها تعريضا لا تصريحاً، وأشار عليه بسؤال الجارية وأنها ستصدق ببراءة عائشة، ثم بعد ذلك خطب ﷺ الناس وبين براءة عائشة وقرائن ذلك، وقد ظهر ما في مشورتهما من خير.

قال العراقي: «فيه جواز البحث والسؤال عن أحوال غيره إذا كان له بذلك تعلق كسؤال الإنسان عن زوجته في مثل هذا وعن ولده الذي يريد تربيته وتأديبه وسؤال الحاكم عمّن شهد عنده والمحدث عمن يريد الرواية عنه والإنسان عمن يريد مصاهرته أو مخالطته أو مشاركته ونحو ذلك أما غيره فهو منهي عنه وهو تجسس وفضول». طرح الشريب (٢٧٣ / ٨).

ويقول النووي: «هذا الذي قاله علي رضي الله عنه هو الصواب في حقهن لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر

وتقلقه فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره). شرح مسلم
(٦٣٤/٥).

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة «لم يجزم عليّ بالإشارة
بفراقها لأنه عقب ذلك بقول «سل الجارية تصدقك» ففوض الأمر
في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة
ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر على أن
تطلع براءتها، لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته،
وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة».

ولم يكن موقف علي في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة
تغضب منه رضي الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها
تتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداء الهائلة من
المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ممن تورط في روايات
الشيعة الرافضة التي لفقوها ووضعوها.

فوجب على كل مسلم أن يحذر من الروايات الباطلة ساقطة
الاعتبار التي تزعم بإساءة علي إلى عائشة رضي الله عنهما في أمر
الإفك، والتي بنى عليها بعض الباحثين بأن ذلك جعل عائشة
تغضب من علي رضي الله عنه وتحقد عليه وتتهمه زوراً بقتل
عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداء الهائلة من المسلمين، ومن

أمثال هؤلاء الباحثين، علي إبراهيم حسن في التاريخ الإسلامي العام، وطه حسين في كتابه: علي وبنوه.

قولها: «فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ: أَيُّ بَرِيرَةٍ هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يُرِيْبُكَ» وفي بعض الروايات: «أن عليا ضرب بريرة لتخبر بالحقيقة عن عائشة» وضربه لها مصلحة مرسله، ولم ينكر عليه ﷺ وذكر ابن حجر أن رواية الضرب المذكورة جاءت من رواية أبي أوس وابن إسحاق، وقد ثبت في صحيح مسلم ما لفظه: "فانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول الله ﷺ" الحديث وانتهارها من غير ذنب أذى لها بلا موجب، وأذى المسلم حرام وكان مستند من انتهرها هو مطلق المصلحة المرسله، ولم ينكر النبي ﷺ ذلك فهو تقرير منه للعمل بالمصلحة المرسله في الجملة. المصالح المرسله (١٠/١).

واختلف العلماء في تعديل النساء فذكر الطحاوي في كتاب الخلاف قال: "تعديل المرأة مقبول عند أبي حنيفة وأبي يوسف"، وقال محمد: "لا يقبل في التعديل إلا رجلان أو رجل وامرأتان".

وقال مالك: "لا يجوز تعديل النساء بوجه لا في مال ولا غيره". وقال الشافعي: "لا تعدل النساء ولا يجرحن ولا يشهد على شهادتهن إلى الرجال". شرح ابن بطال (٣٩ / ١٥).

قولها : «فَقَالَتْ بَرِيرَةٌ» بفتح الموحدة وكسر الراء وفي رواية مقسم «فَأَرْسَلَ عَلَى بَرِيرَةٍ فَقَالَ لَهَا أَتَشْهَدِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ فَلَا تَكْتُمِينِهِ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ هَلْ رَأَيْتَ مِنْ عَائِشَةَ مَا تَكْرَهُ مِنْهُ قَالَتْ لَا» : وقد قيل إن تسميتها هنا هو لأن قصتها كانت بعد فتح مكة كما سيأتي أنها لما خیرت فاختارت نفسها كان زوجها يبكي فقال النبي ﷺ للعباس : «يا عباس : ألا تعجب من حب مغيث بريرة» الحديث وسيأتي ويمكن الجواب بأن تكون بريرة كانت تخدم عائشة وهي في رق مواليتها وأما قصتها معا في مكاتبتها وغير ذلك فكان بعد ذلك بمدة أو أن اسم هذه الجارية المذكورة في قصة الإفك وافق اسم بريرة التي وقع لها التخير وجزم البدر الزركشي فيما استدرسته عائشة على الصحابة أن تسمية هذه الجارية ببريرة مدرجة من بعض الرواة وأنها جارية أخرى وأخذه من بن القيم الحنبلي فإنه قال تسميتها ببريرة وهم من بعض الرواة فإن عائشة إنما اشترت بريرة بعد الفتح ولما كاتبتها عقب شرائها وعتقت خیرت فاختارت نفسها فظن الراوي أن قول علي : «وسل الجارية تصدقك» أنها بريرة فغلط قال وهذا نوع غامض لا ينتبه له إلا الحذاق قلت : وقد أجاب غيره بأنها كانت تخدم عائشة بالأجرة وهي في رق مواليتها قبل وقوع قصتها في المكاتبه وهذا أولى من دعوى الإدراج وتغليط الحفاظ». فتح الباري (٨ / ٤٦٩) بتصرف.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

وقال ابن القيم رحمه الله :

«ومما وقع في حديث الإفك أن في بعض طرقه: أن عليا قال للنبي ﷺ لما استشاره: سل الجارية تصدقك فدعا بريرة فسألها فقالت: ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على التبر أو كما قالت وقد استشكل هذا فإن بريرة إنما كتبت وعتقت بعد هذا بمدة طويلة وكان العباس عم رسول الله ﷺ إذ ذاك في المدينة والعباس إنما قدم المدينة بعد الفتح ولهذا قال له النبي ﷺ وقد شفع على بريرة: أن تراجع زوجها فأبت أن تراجعها: يا عباس! ألا تعجب من بغض بريرة مغيثا وحبها لها ففي قصة الإفك لم تكن بريرة عند عائشة وهذا الذي ذكروه إن كان لازما فيكون الوهم من تسميته الجارية بريرة ولم يقل له علي: سل بريرة وإنما قال: فسل الجارية تصدقك فظن بعض الرواة أنها بريرة فسامها بذلك وإن لم يلزم بأن يكون طلب مغيث لها استمر إلى بعد الفتح ولم ييأس منها زال الإشكال والله أعلم". زاد المعاد (٣/٣٩).

قولها : «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصْهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُ السَّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا

فَتَأْتِي الدَّاجِنَ فَتَأْكُلُهُ» : وفي رواية: **«تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا»**
الداجن الشاة التي تحبس في البيت لدرها.

أي قالت ما رأيت مذ كنت عندها إلا أن عجنت عجينا لي فقلت
إحفظي هذه العجينة حتى اقتبس نارا لأخبزها فغفلت فجاءت الشاة
فأكلتها.

قولها : «فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَعَذَرَ مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سُلُوكٍ» أي قال من يعذرني فيمن آذاني في
أهلي ومعنى من يعذرني من يقوم بعذري أن كافأته على قبيح فعالة
ولا يلومني وقيل معناه من ينصرني والعذير الناصر وفيه: جواز
تشكى السلطان والإمام بمن يؤذيه في أهله، وفي غير ذلك إلى
المسلمين والاستعداد منه لما فيه من المصالح الدينية المترتبة عليها
فقد امتنع صلى الله عليه وسلم عن قتله حتى لا يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه
فهو في ظاهر الأمر من أصحابه وهو يبطن النفاق وقد فضحه الله
تعالى.

وقد قال ذلك في عبد الله بن أبي ولم يقله في حسان بن ثابت
ومسطح وحمنة فهم من وقعوا في الإفك بحسب الروايات
الصحيحة، والفرق هو القصد فعبد الله بن أبي قصد بكلامه الطعن

بالنبي ﷺ وإلحاق العار به بخلاف الباقي ممن تداولوا الكلام وتناقلوه من غير قصد سيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والفرق بين ابن أبي وغيره ممن تكلم في شأن عائشة أنه كان يقصد بالكلام فيها عيب رسول الله ﷺ والطعن عليه وإلحاق العار به ويتكلم بكلام يتنقصه به؛ فلذلك قالوا نقتله بخلاف حسان ومسطح وحمنة فإنه لم يقصدوا ذلك ولم يتكلموا بما يدل على ذلك» الصارم المسلول (١) / (١٨٥).

قولها: «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا» يعني في زوجته التي كان أذاه فيها فكان في ذلك ما قد دل على أن الزوجة تسمى بهذا الاسم وفي قوله ﷺ ما علمت على أهلي إلا خيراً تزكية منه ﷺ لأهله ويقين ببرأتها.

قال ابن القيم رحمه الله: «فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به وفي مقام الصبر والثبات وحسن

الظن بالله حقه حتى جاءه الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره
وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه). زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٢٢٩).

قالت : «وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَّا عَلِمْتَ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا» وهو
صفوان بن المعطل وقد سبق ترجمته وهذه تزكية لصفوان من
النبي ﷺ «وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» : وفي هذا دليل
منه ﷺ على سد الذرائع والوسائل إلى المحرمات وهذه من أكبر
القواعد الفقهية في الشريعة، وهي من أهم المهمات لطالب العلم
فيحرم الخلوة بالأجنبية كما يحرم شرب قليل ما يسكر كثيره وكما
ينهى عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر خشية الصلاة عند طلوع
الشمس وعند غروبها، وكما يمنع من تحرك القبلة شهوته في
صيامه من القبلة، وكما يؤمر من يباشر امرأته في حال حيضها أن
يباشرها من فوق إزار ما بين سرتها وركبتها.

فإن الشريعة إذا سدت باباً فإنه تسد معه جميع الأبواب المفضية
إليه، وهذا هو عين الحكمة وذلك ليكون سياجاً مانعاً من الوقوع
في المحرم قصداً، فإنه لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا
بأسباب وطرق تفضي إليها كانت هذه الطرق وهذه الأسباب تابعة
لها في الحكم، فكل وسائل الحرام حرام، وكل وسائل الطاعات
طاعات فوسائل الواجب واجبة، وهذه سياسة حكيمة حتى في

ملوك الدنيا فإنهم إذا منعوا شيئاً منعوا جميع أسبابه وسدوا جميع طرقه، وإذا أمروا بشيء فإنهم يسهلون جميع أسبابه ويفتحون كل طريقه، وهذا من الكمال في المخلوق الذي لا نقص فيه، فالله أولى به فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فكان من عين الحكمة سد جميع الأبواب المفيضة إليه» تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية (٥٤/٢).

وقد دل على هذه القاعدة أدلة كثيرة نذكر بعضها وهي كالفروع لهذه القاعدة:

فمنها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين المجرى مع كون السب لها غيظاً وحمية لله تعالى وإهانة لآلهتهم فيه مصلحة، لكن سد هذا الباب؛ إذا كان يفضي إلى مفسدة أعظم وهي سب الله تعالى فسد جل وعلا هذا الباب درءاً لمفسدة أعظم من المصلحة المترتبة على فتحه، وهذا الفرع يدخل تحت قاعدة: (درء المفسد مقدم على جلب المصالح).

قالت: «فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ»: هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن

الحارث بن الخزرج بن النبيت وهو عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي يكنى أبا عمرو. وأمه كبشة بنت رافع لها صحبة أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يدي مصعب بن عمير وشهد بدرًا وأحداً والخندق ورمى يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتفض جرحه فمات منه.

والذي رماه بالسهم حبان بن العرقة وقال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال رسول الله ﷺ: «عرق الله وجهه في النار». والعرقة هي قلابة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص وهذا حبان ابنها هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي.

وقيل: إن العرقة تكنى أم فاطمة وإنما قيل لها العرقة لطيب ريحها وكان رسول الله ﷺ قد أمر بضرب فسطاط في المسجد لسعد بن معاذ وكان يعود في كل يوم حتى توفي سنة خمس من الهجرة وكان موته بعد الخندق بشهر وبعد قريظة بليال وروى الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر قال: رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله فحسمه «أي كوى عرقه لينقطع سيلان دمه» رسول الله ﷺ فانتفخت يده ونزفه الدم فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تفر عيني في بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزل بنو قريظة على حكمه وكان حكمه فيهم أن

تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذريتهم فيستعين بها المسلمون فقال رسول الله ﷺ: «أصبت حكم الله فيهم». وكانوا أربعمائة فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات» الاستيعاب في معرفة الصحابة (١/١٨١).

وروى الترمذي بسند صحيح من حديث أنس بن مالك قال: لما حملنا جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته وكان رجلاً طوالاً ضخماً! فقال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة كانت تحمله». وروى إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة قالت: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن بعد النبي ﷺ أحد من المسلمين أفضل منهم: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر.

وقال رسول الله ﷺ في حلة رآها تشتري: «لمنديل من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها». رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وقال له ﷺ: إذ حكم في بني قريظة بقتل مقاتلة وسبى النساء: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات». وقال ﷺ: «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد بن معاذ» رواه البخاري (١٧٥/٤).

قالت : «فَقَالَ أَعْذُرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبَنَا عَنْقَهُ» : وفيه : أن من آذى رسول الله ﷺ في أهله أو في عرضه أنه يقتل ؛ لقول أسيد : "إن كان من الأوس قتلناه" ولم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً ، فكذلك من سب عائشة بما برأها الله منه ، أنه يقتل لتكذيبه القرآن المبرئ لها وتكذيبه الله ورسوله ، وقال قوم : لا يقتل من سبها بغير ما برأها الله منه ، وسيأتي بيان حكم من سب عائشة رضي الله عنها أو اتهمها بالزنا والعياذ بالله.

قال المهلب : «والنظر عندي يوجب أن يقتل من سب أزواج النبي ﷺ بما رميت به عائشة أو بغير ذلك ؛ لأن قول أسيد : «أن كان من الأوس قتلناه» إنما قال ذلك قبل نزول القرآن ، ولم يرد النبي ﷺ قوله ، ولو كان قوله غير الصواب لما وسع النبي ﷺ السكوت عنه ؛ لأنه مفروض عليه بيان حدود الله ، ومن سب أزواجه ﷺ فقد آذاه ونقصه فهو متهم بسوء العقيدة في إيمانه بالنبي ﷺ فهو دليل على إبطانه النفاق».

قالت : «وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ . قَالَتْ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ» : هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري سيد الخزرج

يكنى أبا ثابت وأبا قيس وأمه عمرة بنت مسعود لها صحبة وماتت في زمن النبي ﷺ سنة خمس وشهد سعد العقبة وكان أحد النقباء واختلف في شهوده بدرًا فأثبتته البخاري وقال بن سعد كان يتهياً للخروج فأقام وقال النبي ﷺ لقد كان حريضاً عليها قال بن سعد وكان يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي فكان يقال له الكامل وكان مشهوراً بالجود هو وأبوه وجده وولده وكان لهم أطم ينادي عليه كل يوم من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة وكانت جفنة سعد تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه وقال مقسم عن بن عباس كان لرسول الله ﷺ في المواطن كلها رايتان مع علي راية المهاجرين ومع سعد بن عبادة راية الأنصار وروى له أحمد من طريق محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد زارنا النبي ﷺ في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله الحديث وفيه ثم رفع يده فقال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة وروى أبو يعلى من حديث جابر قال قال رسول الله ﷺ جزى الله عني الأنصار خيراً لا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة وكان سعد يقول اللهم هب لي مجداً لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال اللهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه وعن محمد بن سيرين كان سعد بن عبادة يعيش كل ليلة ثمانين من أهل الصفة وقصته في تخلفه عن بيعة أبي بكر مشهورة

وخرج إلى الشام فمات بحوران سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة وقيل إن قبره بالمنيحة قرية بدمشق بالغوطة وقيل أنه مات ببصرى وهي أول مدينة فتحت من الشام». الإصابة في معرفة الصحابة (٤٢٩/١) بتصرف.

وقال الحافظ في شرح الجملة الأولى: (إنما قال ذلك سعد لأنه كان سيد الأوس فجزم بأن حكمه فيهم نافذ). تحفة الأحوذى (٨ / ١٥).

قالت: «وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ»: وفيه: أن المعصية تنقل عن اسم الصلاح كما نقلت سعد بن عباد من الصلاح عصبيته لعبد الله بن أبي عن حاله؛ لقول عائشة: «وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً».

فقاعدة «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» وفق المعنى الجاهليّ ليس لها مكاناً في عهد النبوة فالإسلام حاربها حرباً لا هوادة فيها فقد قطع النبي ﷺ كل طريق يؤدي إلى هلاك الأمة وضعفها ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. فمن التعصب للقبيلة والعرق نجمت حروب قبلية تطاولت في الزمان والمكان، ونشأت منها عادات كثيرة في ذلك المجتمع، فالتفاخر بالبنين إنما منشؤه قدرة الذكر على الدفاع عن

القبيلة وخوض الحروب، ووأد البنات بالمقابل منشؤه عجز الإناث عن الدفاع عن أنفسهنّ وقبيلتهنّ والخوف من وقوعهن في الأسر، وما يلحق العار بالقبيلة وأهلها، فكان شؤماً على العربي أن يرزق بأنثى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ينورى من القوم من سوء ما بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسُّكُمْ عَلَىٰ هَوًى أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠١﴾ الآية، وما زال أعداء الإسلام يسارعون في إثارة النعرات القبلية، والعصبيات الجاهلية، وجاهدوا لتمييق وحدة المسلمين أمماً وجماعات، فنجحوا في ذلك، واستجاب ضعاف الإيمان من أبناء الإسلام لهذه المكيدة، فأثيرت النعرات وعادت العصبيات الجاهلية وأصبح الافتخار بالقبيلة التي ينتمي إليها وباللون الذي يحمله أو الأحزاب التي يأوي إليها، وضعفت الأخوة الإيمانية، وقويت العصبية الجاهلية التي حذرنا نبينا منها «دعوها فإنها منتنة».

يقول الندوى رحمه الله :

«وكانت العصبية القبلية الدموية شديدة جامحة، وكان أساسها جاهلياً تمثله الجملة المأثورة عن العرب: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فكانوا يتناصرون ظالمين أو مظلومين، وكانت في المجتمع العربي طبقات وبيوت ترى لنفسها فضلاً على غيرها، وامتيازاً، فتترفع على الناس ولا تشاركهم في عادات كثيرة حتى في

بعض مناسك الحج، فلا تقف بعرفات وتتقدم على الناس في الإفاضة والإجازة، وتنسأ الأشهر الحرم، وكان النفوذ والمناصب العليا والنسيء متوارثاً، يتوارثه الأبناء عن الآباء، وكانت طبقات مسخرة وطبقات سوقة وعوام، فكان التفاوت الطبقي من مسلمة المجتمع العربي وكان الحرب والغزو مما طبعت عليه طبيعتهم العربية، وألهمتهم إياه معيشتهم البدوية، حتى صارت الحرب مسلاة لهم وملهى فقال قائلهم:

وأحياناً على بكر أحياناً إذا لم نجد إلا أخانا

هانت عليهم الحرب وإراقة الدماء حتى كانت تثيرها حادثة ليست بذات خطر، فقد وقعت الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ومكثت أربعين سنة أريق فيها دماء غزيرة، وما ذاك إلا أن كليلاً رئيس معدّ رمى ضلع ناقة البسوس بنت منقذ فاختلط دمها بلبنها وقتل جسّاس بن مرة كليلاً، واشتبكت الحرب بين بكر وتغلب، وكان كما قال المهلهل أخو كليب: «قد فني الحيان وثكلت الأمهات ويتم الأولاد دموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن».

كذلك حرب داحس والغبراء فما كان سببها إلا أن داحساً فرس قيس بن زهير كان سابقاً في رهان بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر فعارضه أسدي بإيعاز من حذيفة فلطم وجهه وشغله ففاتته الخيل،

وتلا ذلك قتل ثم أخذ بالثأر ونصر القبائل لأبنائها، وأسر ونزح للقبائل، وقتل في ذلك ألوف من الناس وكانت الحياة كلها شبكة محبوكة من تراث وثرارات وفشت حبالها في القبائل وأوصى بها الآباء والأبناء، وحملت العيشة البدوية وقلة أسباب الحياة، والطمع والجشع، والأحقاد والاستهانة بحياة الإنسان على الفتك والسلب والنهب، حتى كانت أرض الجزيرة كفة حابل لا يدري الإنسان متى يغتال وأين ينهب، وكان الناس يُتخطفون من بين عشيرتهم في القوافل، حتى احتاجت الدول القوية إلى خفارة الساهرة، والبذرة القوية، فكانت عير كسرى تبذر من المدائن حتى تدفع إلى النعمان بن المنذر بالحيرة، والنعمان يبذر بها بخفراء من بني ربيعة حتى تدفع إلى بني هوزة بن علي الحنفي باليمامة فيبذر بها حتى تخرج من أرض بني حنيفة ثم تدفع إلى تميم وتجعل لهم جعالة فتسير بها إلى أن تبلغ اليمن وتسلم إلى عمال كسرى باليمن ظهر الفساد في البر والبحر). ماذا خسر العالم بالخطط المسلمين (١ / ٥٧).

قالت : «فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلْهُ وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ» وهذا كذلك من الحمية الجاهلية :

وأسيد بن الحضير هو بن سماك أبا يحيى وأبا عتيك كان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعث وكان أسيد من السابقين

إلى الإسلام وهو أحد النقباء ليلة العقبة وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ واختلف في شهوده بدرا قال بن سعد كان شريفاً كاملاً وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة وكان ممن ثبت يوم أحد وجرح حينئذ سبع جراحات وقال بن السكن شهد بدراً والعقبة وكان من النقباء وأنكر غيره عده في أهل بدر وله أحاديث في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال نعم الرجل أسيد بن خضير وروى عن عائشة قالت ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن خضير وعباد بن بشر وأخرج أحمد في مسنده من طريق فاطمة بنت الحسين بن علي عن عائشة قالت كان أسيد بن خضير من أفاضل الناس وكان يقول لو أني أكون كما أكون على أحوال ثلاث لكنت حين أسمع القرآن أو أقرؤه وحين أسمع خطبة رسول الله ﷺ وإذا شهدت جنازة وروى الواقدي من طريق عبد الله بن التيمي قال كان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار على أسيد بن خضير وروى البخاري في تاريخه عن بن عمر قال لما مات أسيد بن خضير قال عمر لغرمائه فذكر قصة تدل على أنه مات في أيامه وروى بن السكن من طريق بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما مات أسيد بن خضير باع عمر ماله ثلاث سنين فوفى بها دينه وقال لا أترك بني أخي عالة فرد الأرض وباع ثمرها

وأرخ البغوي وغيره وفاته سنة عشرين وقال المدائني سنة إحدى وعشرين». الإصابة في تمييز الصحابة (١ / ٨٣).

قالت : «وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَتَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ» : ولم يكن سعد منافقاً لكن مجادلته عنه استحلت منه أسيد أن يرميه بالنفاق وإنما قال ما قال على وجه الغضب ولا يقدر هذا في القائل ولا في المقول بل قد يكون كلاهما من أهل الجنة، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر، بل يظن كفره، وهو مخطئ في هذا الظن.

كما ثبت في الصحيحين عن عليّ وغيره في قصة حاطب بن أبي بلتعة، وكان من أهل بدر والحديبية، وقد ثبت في الصحيح أن غلامه قال: يا رسول الله، والله! ليدخلن حاطب النار، فقال له النبي ﷺ: «كذبت، إنه قد شهد بدراً والحديبية». وفي حديث عليّ أن حاطباً كتب إلى المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ لما أراد غزوة الفتح فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال لعليّ والزبير: «اذهبا حتى تأتيا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب» فلما أتيا بالكتاب، قال: «ما هذا يا حاطب؟ فقال: والله يا رسول الله ما فعلت هذا ارتداداً ولا رضاً بالكفر، ولكن كنت امرئ ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم

بمكة قرابات يحمون بها أهليهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ، فقال عمر رضي الله عنه : «دعني أضرب عنق هذا المنافق» ، فقال : "إنه شهد بدرًا ، وما يدريك أن الله أطَّل على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". وأنزل الله تعالى أول سورة الممتحنة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة : ١]. وهذه القصة مما اتفق أهل العلم على صحتها ، وهي متواترة عندهم .

فإن عثمان وعليًا وطلحة والزبير أفضل باتفاق المسلمين من حاطب بن أبي بلتعة ، وقد ارتكب حاطب ذنبا بمكاتبته المشركين وأعانتهم على النبي ﷺ وأصحابه وقد تكسر شوكة الإسلام من صنيعه فهي خيانة تكشف سر الرسول ﷺ ، ومع هذا فالنبي ﷺ نهى عن قتله ، وكذب من قال : إنه يدخل النار ، لأنه شهد بدرًا والحديبية ، وأخبر بمغفرة الله لأهل بدر ، ومع هذا فقد قال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فسمَّاه منافقاً لما صنع ، واستحلَّ قتله ، ولم يقدح ذلك في إيمان واحد منهما ، ولا في كونه من أهل الجنة وهنا يتبين جهل المعتزلة والخوارج الذين كفروا بالذنوب واستحلوا دماء المسلمين وكذلك سعد فقد اهتز لموته عرش الرحمن ، وهو الذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم ، بل حكم في حلفائه من بني قريظة بأن يقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم

وتغنم أموالهم ، حتى قال النبي ﷺ : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» ، وهؤلاء الثلاثة من خيار السابقين الأولين ، وقد قال أسيد بن حضير لسعد بن عباد : «إنك منافق تجادل عن المنافقين» وكلهم من أهل الجنة ؛ فدل على أن الرجل قد يكفر آخر بالتأويل ، ولا يكون واحداً منهما كافر .

قال النووي : (جواز سب المتعصب لمبطل كما سب أسيد بن حضير سعد بن عباد لتعصبه للمنافق وقال إنك منافق تجادل عن المنافقين وأراد أنك تفعل فعل المنافقين ولم يرد النفاق الحقيقي) شرح النووي على مسلم - (ج ١٧ / ص ١١٨) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

«وإذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك كما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ «أنه قد شهد بدرا وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وهذا في الصحيحين وفيها أيضاً من حديث الإفك أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عباد أنك منافق تجادل عن المنافقين واختصم الفريقان فأصلح النبي ﷺ بينهم فهؤلاء البديرون

فيهم من قال لآخر منهم إنك منافق ولم يكفر النبي لا هذا ولا هذا بل شهد للجميع بالجنة.

وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قتل رجلاً بعد ما قال لا إله إلا الله وعظم النبي ذلك لما أخبروه وقال «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يؤمئذ ومع هذا لم يوجب عليه قوداً ولا دية ولا كفارة لأنه كان متأولاً ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوداً فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضها من أهل الجمل وصفين ونحوهم وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ مَا صُلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً مولاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار فيقبل بعضهم شهادة بعض ويأخذ بعضهم العلم عن بعض ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك). مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٥).

قالت : «فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ» : الأوس والخزرج هما من قبائل الأزد اليمنية التي هاجرت من اليمن بعد تهدم سد مأرب واتجهت شمالاً، فأقام جزء منها في بادية العراق، وأقام جزء آخر في مكة، وواصل جزء ثالث منها سيره حتى بلغ بادية الشام فأقام فيها، وواصل جزء رابع إلى منطقة يثرب فأقام فيها، وكانت مضاربه بجوار اليهود، وكان الأوس والخزرج يشكلون أفراد ذلك الجزء الرابع من قبائل الأزد اليمنية الأصل، وكانوا يعرفون مدينة يثرب جيداً، لأنها تقع على الطريق التجاري بين اليمن والشام.

وكان اليهود ينظرون باستعلاء إلى الأوس والخزرج في بداية الأمر، ثم ما لبثوا أن حالفوهم، غير أن الأحوال تغيرت بعد ذلك، فقويت شوكة الأوس والخزرج، ورجحت كفتهم، بعد أن تغلبوا على اليهود، فأخذوا يملكون جزءاً من الأراضي الزراعية، وبينون الحصون، فصارت لهم الكلمة العليا في المدينة وأخذ نفوذ اليهود في الضعف.

وتنافس الأوس والخزرج على السلطان، فظهر الشقاق بين صفوفهم، مما أدى إلى اشتعال نيران الحروب بين الطرفين، واستمرت هذه الحروب زمناً، وتبادل الطرفان النصر والهزيمة، واضطربت في أثنائها الأحوال في المدينة، فاستغل اليهود تمزق

الصف العربي ، وحالف بعضهم الأوس ، بينما حالف بعضهم الآخر الخزرج ، ليزيدوا الصف العربي تمزقاً وضعفاً ، وليزيدوا الأحوال في المدينة اضطراباً ، وظلت الأحوال مضطربة إلى وقت شروق شمس الإسلام في أوائل القرن السابع الميلادي .

وتفيد الأخبار المروية أن الصراع بين الأوس والخزرج ظل قائماً إلى وقت قريب من هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى مدينة يثرب ، وأن يوم بعث كان آخر مظاهر الصراع بين الطرفين ، وكان ذلك قبل الهجرة النبوية بخمسة أعوام . انظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٥ / ٤٠٥) .

قولها : «حَتَّى هَمُّوا» : (أي كادوا أن يقتتلوا) قولها : «وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ ، قَالَتْ وَبَكَيْتَ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ» :

الناس عندما رُميت الصديقة بنت الصديق بالإفك كانوا أربعة أقسام : قسم : وهو أكثر الناس ، حموا أسماعهم وألستهم فسكتوا ، ولم ينطقوا إلا بخير ولم يصدقوا ولم يكذبوا .

وقسم: سارع إلى التكذيب، وهم أبو أيوب الأنصاري وأم أيوب رضي الله عنهما، فقد وصفوه عند سماعه بأنه إفك وبرؤوا عائشة مما نسب إليها في الحال.

أما القسم الثالث: فكانوا جملة من المسلمين لم يصدقوا ولم يكذبوا ولم ينفوه، ولكنهم يتحدثون بما يقول أهل الإفك، وهم يحسبون أن الكلام بذلك أمر هين لا يعرضهم لعقوبة الله؛ لأن ناقل الكفر ليس بكافر، وحاكي الإفك ليس بقاذف، ومن هؤلاء حمنة بنت جحش وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة.

أما القسم الرابع: فهم الذين جاءوا بالإفك وعلى رأس هؤلاء عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين لعنة الله وهو الذي تولى كبره.

وقد أشار الله عز وجل إلى فضل القسم الثاني من هذه الأقسام، وأنه كان ينبغي لجميع المسلمين أن يقفوا هذا الموقف، فقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

أما القسم الثالث: فقد أشار الله عز وجل إلى أنه ما كان ينبغي لهم أن يتحدثوا بمثل هذا الحديث حيث يقول: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ

وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ [النور: ١٥-١٦].

وقد أثبت الله عز وجل لأهل هذا القسم فضائلهم التي عملوها حيث أثبت لمسطح هجرته وإيمانه عندما حلف أبو بكر أنه لن ينفق على مسطح، ولن يتصدق عليه وهو من ذوي قرابته، فقال عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

أما القسم الرابع: وهو جماعة عبد الله بن أبي الذي جاءوا بالإفك واخترعوا هذا الكذب، فقد لعنهم الله في الدنيا والآخرة وتوعدهم بعذاب أليم، حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٦٩﴾﴾ [النور: ٢٣-٢٥].

قولها: «ثُمَّ بَكَيتَ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يُرْفَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كِبَدِي قَالَتْ فَبَيْنَا هُمَا

جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ
لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِيَ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ
عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي
شَيْءٌ : وتوقف النبي ﷺ في أمرها مع علمه ببراءتها شهراً كاملاً
وهو من تمام حكمة الله الباهرة فالله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد أجاد
ابن القيم رحمه الله عن بعض هذه الحكم فقال :

«إن قيل : فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها وسأل عنها
ويحث واستشار وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به وهلا
قال : سبحانه هذا بهتان عظيم كما قاله فضلاء الصحابة؟ فالجواب
أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبب لها
وامتحاناً وابتلاءً لرسوله ﷺ ولجميع الأمة إلى يوم القيامة ليرفع
بهذه القصة أقواماً ويضع بها آخرين ويزيد الله الذي اهتدوا هدى
وإيماناً ولا يزيد الظالمين إلا خساراً واقتضى تمام الامتحان
والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها لا
يوحى إليه في ذلك شيء لتتم حكمته التي قدرها وقضاها وتظهر
على أكمل الوجوه ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على
العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من

عباده ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والإفتقار إلى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء له ولينقطع رجاؤها من المخلوقين وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق ولهذا وفّت هذا المقام حقه لما قال لها أبواها: قومي إليه وقد أنزل الله عليه براءتها فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي.

وأيضاً فكان من حكمة حبس الوحي شهراً أن القضية محصت وتمحصت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه فوقع منهم أعظم موقع وأطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم به غاية الهناء فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها.

وأيضاً فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعييبهم بأمر لا يكون له فيما عمل ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته.

وأيضاً فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى والتي رमित زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها ولم يظن بها سوءاً قط وحاشاه وحاشاها ولذلك لما استعذر من أهل الإفك قال: «من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به وفى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتى جاءه الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمتة احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه». زاد المعاد (٣/ ٢٢٩).

«قَالَ فَتَشَهَّدَ»: وهذا هو هدى نبينا ﷺ في كلامه وتسمى بخطبه الحاجة وقد وردت من طريق عدد من الصحابة منهم عبد الله

بن مسعود قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة «الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله» ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ []. رواه أحمد (٣٥٣٦) وأهل السنن الأربعة وصححه الألباني في الكلم الطيب (١٥٩).

وقد تضمنت الاستعاذة من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فيستعيذ من شر النفس التي نشأ عنها من ذنوبها وخطاياها ويستعيذ من سيئات الأعمال التي هي عقوباتها وآلامها فإن قوله ومن سيئات أعمالنا يراد بها سيئات الأعمال والعقوبات.

قولها: «ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ: يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكَذًا»: وهكذا كان عليه الصلاة والسلام رؤوفاً رحيماً في أقواله وأفعاله ليس بالطعان ولا اللعان يحسن الظن ولا يتنافى هذا مع غيرته ﷺ وحبه لعائشة فالمؤمن يغار والله أشد غيرة وغيره العبد على محبوبه نوعان ممدوحة يحبها الله وغيره مذمومة يكرهها الله

فالتى يحبها الله أن يغار عند قيام الريبة والتي يكرهها أن يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه.

قولها : «فَإِنْ كُنْتُ بَرِيَّةً فَسَيِّئْتُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتُ أَلَمَّمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ ثُمَّ تُؤْبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» : خاض المنافقون بحديث الإفك وأبطأ الوحي وطال الأمر والناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراص "إني لا أعلم عنها إلا خيراً" ثم إنه بعد أن بذل جهده في التحري والسؤال واستشارة الأصحاب ومضى شهر بأكمله والكل يقولون ما علمنا عليها من سوء لم يزد على أن قال لها آخر الأمر "يا عائشة أما إنه بلغني كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أَلَمَّمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ".

نازلة من النوازل من شأها أنها تحفزه إلى القول وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالا ومجالا ولكنه كانت تمضي به الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام ولا يجد في شأنها قرآنا يقرؤه على الناس.

وفي هذا كذلك دليل على عدم عصمة نساء الأنبياء والرسل وإلا لما قال إن كنت ألممتي بذنب فتوبي قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْفَأْطِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظِّلْمِينَ ﴿١٢﴾ [التحریم: ١٠-١٢].

أي بين حالهم بطريق التمثيل أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير اتقاء ولا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كانوا فيه من القرابة بينهم وبين نبيهم وإنكارهم للرسول ﷺ، فيما جاء به من عند الله وإصرارهم عليه، وقطع العلائق، وجعل الأقارب من جملة الأجانب بل أبعد منهم وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً كحال امرأة نوح ولوط، لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان وقيل لهما في اليوم الآخر ادخلا النار ثم بين حال المسلمين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم كحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة ظالم من أعداء الله تعالى» تفسير الرازي (١٥ / ٣٩٠).

قال ابن عباس : « ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون ، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابة وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار ، وإذا نزل بالنهار دخلت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف » .

قولها : « فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتهُ قَلَصَ دَمْعِي » : بفتح القاف واللام أي ارتفع وانقبض وقال القرطبي يعني أن الحزن والوجدة قد انتهت نهايتهما وبلغت غايتها ومهما انتهى الأمر إلى ذلك قلص الدمع لفرط حرارة المصيبة .

« حَتَّىٰ مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً ، فَقُلْتُ لِإِبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » : وقولها والله ما أدري ما أقول معناه إن الأمر الذي سألتها رسول الله ﷺ لا يقف منه على أمر زائد على ما عند رسول الله قبل الوحي من حسن الظن وقولها إلا أبا يوسف أي إلا مثل يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو الصبر وكأنها من شدة حزنها لم تتذكر اسم يعقوب وإنما قالت أبا يوسف لأنه لما جاء يوسف أباهم يعقوب ومعهم قميص يوسف بدم كذب قال

يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

قالت : «فَقُلْتُ لِإِمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» : فيه تفويض الكلم إلى الكبار لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه وأبواها يعرفان حالها وأما قول أبيوها لا ندري ما نقول فمعناه أن الأمر الذي سألها عنه لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى.

قالت : «وَاللَّهُ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيراً مِنَ الْقُرْآنِ ، وَاللَّهُ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهِذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ أَنِّي بَرِيَّةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ تُصَدِّقُونِي وَإِنِّي وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ ﴿فَصَبِرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ قَالَتْ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي قَالَتْ وَأَنَا وَاللَّهُ حِينَتِذِ اعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ وَاللَّهُ مُبَرِّئِي بِرَاءَتِي» : هذا من حسن الظن بالله

تعالى فهو من واجبات التوحيد ، وسوء الظن بالله عز وجل ينافي التوحيد وقد علمت رضي الله عنها أن الله مبرأها مما يقولون.

فسوء الظن بالله ينافي أصله إذا زاد وكثر واستمرّ، أو ينافي كماله إذا كان شيئاً عارضاً أو شيئاً خفيفاً أو خاطراً في النفس فقط ولا يتكلم به بلسانه ، أما إن تكلم به بلسانه فإنه يكون منافياً للتوحيد ، والعبد مأمور به فعن النبي ﷺ قال : « لا يموتن أحد منكم إلا وهو حسن الظن بالله تعالى ». وقال ابن مسعود : « والله الذي لا إله إلا هو ما أعطى عبد مؤمن قط شيئاً خيراً من حسن الظن بالله . والله الذي لا إله إلا هو لا يحسن عبد الظن إلا أعطاه الله ظنه » وذلك أن الخير في يديه فحسن الظن متضمن للأفتقار إلى الله والأذعان له ولحسن الظن مواطن كثيرة منها ما يكون في أمر دنياه ومنها ما يكون في آخرته ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التي لا ينبغي للعبد أن يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب في الأهل والمال والبدن لئلا يقع في الجزع والسخط .

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً ، وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً ،

وأن أتاني يمشي أتيته هرولة» فهناك تلازم تام بين حسن الظن مع صلاح العمل والخوف من الله.

وحسن الظن لا يكون إلا مع إحسان العمل وإلا كان غروراً.

يقول ابن القيم مبيناً تلازم حسن الظن مع صلاح العمل تمام الملازمة: «حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته، وأما المسيء المصّر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه» الجواب الكافي (١٣).

ومن سوء الظن أن تزعم بعد نفاذ قدر الله أنك قادر على دفعه وأنت لو فعلت كذا لما حصل كذا وتنسى أن كل شيء نافذ بقدر الله وهو عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعلى حسب ما يكون من اليقين بقدر الله على قدر ما يكون التكذيب بالقدر، لذا لما قيل لعبد الله بن أبي: قتل بنو الخزرج اليوم، قال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ أي لو كان الأمر إلينا ما أصابهم القتل ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾، فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ فلا

يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره، وجرى به كتابه السابق، وهذه الآية كقوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا﴾ وقد ظن هؤلاء المنافقون أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية.

قولها: «وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ»:
الوحي أنواع كما قال تعالى: ﴿كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ذكر بعض المفسرين كالبعثي والسميرقندي والماوردي عند تفسير هذه الآية أن سبب نزولها أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً، كما كلمه موسى ونظر إليه؛ فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك. فقال النبي ﷺ: «إن موسى عليه السلام لم ينظر إلى الله فنزلت في ذلك الآية...»، والمعنى: ﴿كَانَ لِبَشَرٍ﴾: ما ينبغي لبشر، وما صح لإنسان، ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾: بحالة من الأحوال، ووجه من الوجوه، ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: إلا أن يكون الكلام وحياً، بأن ينفث في قلبه، ويلقى في روعه، وقيل ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ رؤيا يراها في منامه وهو بعيد، ﴿أَوْ مِنْ

وَرَأَى حِجَابًا : أو يكلمه من وراء حجاب كما كلم الله موسى عليه السلام وحين سأل الله الرؤيا بعد التكليم لم يؤت سؤله ﴿أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا﴾ أو يكلمه بإرسال رسول إليه من الملائكة وهو جبريل عليه السلام ﴿فَيُوحَى﴾ : الملك بإذن الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الله إبلاغه لرسوله من البشر.

وقسم ابن القيم رحمه الله الوحي إلى ستة أقسام فقال :

١- الرؤيا الصادقة: وكانت مبدأ وحيه ﷺ ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد جاء في الحديث «رؤيا الأنبياء وحي» ، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿يَبْنِي إِلَيَّ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾.

٢- الإلهام: وهو أن ينفث الملك في روعه أي قلبه من غير أن يراه كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن روح القدس نفث في روعي» أي: إن جبريل عليه السلام نفخ في قلبي: «أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

٣- أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، أي مثل صوته في القوة، وهو أشده، كما في حديث عائشة: أن الحارث رضي الله عنه سأل

رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول».

٤- ما أوحاه الله تعالى إليه، بلا وساطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران عليه السلام، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن وثبوتها لنبينا ﷺ في حديث الإسراء.

٥- أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله تعالى أن يوحيه.

٦- أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً.

قولها: «وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا» لأن رؤيا الأنبياء حق ونوع من أنواع الوحي من الله، وهي في هذا رضي الله عنها قد تنقصت من نفسها فكانت أبعد الخلق من العجب ولم تقل أنني زوجة نبي قالت "ولا أنا أحقر في نفسي" «فَوَاللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ،
 حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ
 الْبَرَحَاءِ» [شدة الكرب والسبب في ذلك حصول المشقة التي
 يجدها ﷺ عند النزول فكان يتعجل بأخذه لتزول المشقة سريعاً
 وقيل خشية أن ينساه ف قيل له ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
 وَقُرْآنَهُ ﴿فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَانصِتْ لَهُ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿﴾ [القيامة: ١٦-١٩] وكان
 يخشى أن ينفلت وللطبري من طريق الشعبي كان إذا نزل عليه عجل
 يتكلم به من حبه إياه وظاهره أنه كان يتكلم بما يلقي إليه منه أولاً
 فأول من شدة حبه إياه فأمر أن يتأني إلى أن ينقضي النزول.

قولها : «حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ
 الشَّاتِي» : الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم وهو اللؤلؤ الصغار
 وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ وقد وصفه ﷺ أنه يأتيه مثل
 صلصلة الجرس وهو أشده عليه فقد كان يعاني ويتعرق حتى يفصم
 عنه.

قولها : «فَلَمَّا سُرِّيَ» : هو بضم السين وكسر الراء المشددة أي:
 أزيل ما به وكشف عنه.

«عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ»: فهو خير قدوة في ذلك وما كان ضحكته إلا تبسماً ولم يكن ضحكة فقهقة أو صراخ وما كان يكثر منه فإن كثرة الضحك تميّت القلب.

فقد ورد في الحديث الصحيح أنه ﷺ «لا يضحك إلا تبسماً» رواه أحمد في المسند ٩٧/٥ وهو في صحيح الجامع ٤٨٦١.

وأنه ﷺ «كان طويل الصمت قليل الضحك». رواه أحمد في المسند ٨٦/٥ وهو في صحيح الجامع ٤٨٢٢.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعاً ضاحكاً، حتى أرى منه لهواته وإنما كان يتبسم». رواه أبو داود رقم ٥٠٩٨.

فالفرح مشروع بل يكون مستحباً في بعض أحواله لما فيه من إدخال السرور إلى قلوب المؤمنين من غير إفراط فيه وقد أمر الله بالفرح فرح الأغتباط والسرور بدين الله والفرح بهداية الله والاستبشار بذلك والتصريح بذلك ليعلم قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

أما الفرح المنهي عنه فهو فرح الكبر والمرح كما قال عز وجل في قصة قارون: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾. ففرح قارون فرح

كبر وتعالى على الناس وتعاضم السرور ولم ينسب نعم الله إلى الله
فنسي المنعم فقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ فخسف الله به وبداره
الأرض.

قولها: «فَكَانَ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكَ»: أي برأك بما أنزله في كتابه العزيز
فصارت براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك براءة قطعية بنص
القرآن فلو شك فيها إنسان والعياذ بالله تعالى صار كافراً مرتداً
بإجماع المسلمين وأما غيرها من أمهات المؤمنين فهل يكون قذفها
كفراً فيه قولان فمن قال بالتكفير نظر إلى ما فيه من أذى النبي ﷺ
ومن لم يقل به لم ير فيه مخالفة قاطع.

«فَقَالَتْ لِي أُمِّي قَوْمِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ
إِلَّا اللَّهَ» فناسب هذا الموقف أفراد الله تعالى بالحمد والشكر،
وقولها لا أقوم إليه كان باعث غضب وعتاب كما يعاتب المحبوب
حبيبه فهي رضي الله عنها تفرح وتغضب وتغار فهي كسائر النساء
في صفاتها الأنثوية مع جلالة قدرها وعلمها:

قال ابن الجوزي: (إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على
حبيبه وقيل أشارت إلى أفراد الله تعالى بقولها فهو الذي أنزل براءتي

فناسب إفراده بالحمد في الحال ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك ويحتمل أن تكون مع ذلك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها احمدي الله ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد فقالت ذلك وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب فتح الباري (٨/ ٤٧٧).

فأنزل الله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقُلْتُ بَكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنَةِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١-٢٠].

قال الزمخشري: «لم يقع في القرآن من التخليط في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها لاشتماله على الوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطرق مختلفة وأساليب متفenne كل واحد منها كاف في بابه بل ما وقع من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك وما ذاك إلا لإظهار منزلة رسول الله ﷺ وتطهير من هو منه بسبيل». الخصائص الكبرى - (ج ١ / ص ٤٠١).

وقال الرازي في تفسيره:

«فاعلم أن الله تعالى ذكر في هذه الآية ثلاثة أشياء: أولها: أنه حكى الواقعة وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه، وأجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة، وإنما وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه إفكاً لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك لوجوه: أحدها: أن كونها زوجة للرسول ﷺ المعصوم يمنع من ذلك. لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم، فوجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم وكون الإنسان بحيث تكون زوجته مسافحة من أعظم

المنفرات ، فإن قيل كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجر أن تكون فاجرة وأيضاً فلو لم يجر ذلك لكان الرسول أعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما ضاق قلبه ، ولما سأل عائشة عن كيفية الواقعة قلنا الجواب عن الأول أن الكفر ليس من المنفرات ، أما كونها فاجرة فمن المنفرات والجواب : عن الثاني أنه عليه السلام كثيراً ما كان يضيق قلبه من أقوال الكفار مع علمه بفساد تلك الأقوال ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر : ٩٧] فكان هذا من هذا الباب وثانيها : أن المعروف من حال عائشة قبل تلك الواقعة إنما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ، ومن كان كذلك كان اللائق إحسان الظن به وثالثها : أن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم ، وقد عرف أن كلام العدو المفترى ضرب من الهذيان ، فلمجموع هذه القرائن كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي). تفسير الرازي (١١ / ٢٦٦).

قولها : «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي» : وهنا بعد هذه البراءة من الله تعالى لعائشة رضي الله عنها تكلم العلماء في حكم من سب أو شتم أو قذف عائشة أو أحداً من أزواج النبي ﷺ أو الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ولا أعلم أحداً تكلم فيها إلا الرافضة عليهم من الله ما يستحقون وكان

ذلك بسبب خلافها مع علي رضي الله عنهما في واقعة الجمل -
زعموا - ولسان حالهم الاعتراض على أمر الله تعالى فهذا لا يقوله
إلا زنديق مدسوس على أهل الإسلام فالطاعن فيها حقيقه أمره أنه
يطعن بكتاب الله تعالى العزيز فكل من سبها بما برأها الله منه فهو
مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر.

وليس المقصود عائشة بل المقصود دين الله؛ لذا ذهب علماء
الإسلام إلى وجوب قتله كفرا.

قال القاضي أبو يعلى: «من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا
خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد
من الأئمة بهذا الحكم فروي عن مالك: «من سب أبا بكر جلد ومن
سب عائشة قتل قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن لأن
الله تعالى قال: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧].

وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: «سمعت القاسم بن محمد
يقول لإسماعيل بن إسحاق: أتى المأمون بالرقعة برجلين شتم
أحدهما فاطمة والآخر عائشة فأمر بقتل الذي شتم فاطمة وترك
الآخر فقال إسماعيل: ما حكمهما إلا أن يقتلا لأن الذي شتم عائشة

رد القرآن وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم».

قال أبو السائب القاضي: «كنت يوما بحضرة الحسن بن زيد الداعي (بطرستان) وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوجه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى المدينة السلام يفرق على سائر ولد الصحابة وكان بحضرته رجل فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة فقال: «يا غلام اضرب عنقه» فقال له العلويين: «هذا رجل من شيعتنا» فقال: «معاذ الله هذا رجل طعن على النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿الْحَيْثُ لِلْخَيْثِ وَالْخَيْثُ لِلْخَيْثِ وَالْطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ أُولَئِكَ مَبْرُوءٌ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث فهو كافر فاضربوا عنقه فاضربوا عنقه وأنا حاضر».

وروي عن محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد أنه قدم عليه رجل من العراق رجل ينوح بين يديه، فذكر عائشة بسوء، فقام إليه بعمود وضرب به دماغه، فقتله، ف قيل له: هذا من شيعتنا، وممن يتولانا، فقال: هذا سمى جدي قرتان، ومن سمى جدي قرتان استحق عليه القتل فقتلته» شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي (٥ / ٤٩٦).

والقرتان هو الذي يشارك في أمراته كأن يقرن بها غيره وهو نعت
سوء في الرجل الذي لا غيره له.

وقد فضلت عائشة رضي الله عنها أزواج النبي ﷺ بعشر خصال
فقد تزوجها رسول الله ﷺ بكرة دون غيرها، وأبواها مهاجران،
وجاء جبريل عليه السلام بصورتها في حريرة وأمره أن يتزوج بها،
وكانت تغتسل معه في إناء واحد، وجبريل عليه السلام ينزل عليه
بالوحي وهي معه في لحاف واحد، وتزوجها في شوال وبنى بها في
ذلك الشهر، وقبض بين سحرها ونحرها، وأنزل الله تعالى عذرها
من السماء، ودفن في بيتها وكل هذا ثابت بأحاديث صحيحة.

وقال بعضهم برأ الله أربعة بأربعة: «برأ يوسف عليه السلام بلسان
الشاهد، وشهد شاهد من أهلها، وبرأ موسى عليه السلام من قول
اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بإنطاق ولدها، وبرأ
عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه
الدهر».

قولها: «فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ
وَفَقْرِهِ وَاللَّهُ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ

وَأَمَّ هَجْرَتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾» وكان هذا من أبي بكر باعث غضب فكيف ينفق على رجل شارك في الأفك فحلف أن لا ينفق عليه فأنزل الله تعالى الآية، والمعنى لا يحلف أولو الطول والصدقة والإحسان أن يصلوا قرباتهم والآية في غاية الترفق والعطف بأولي الأرحام قال بعض العلماء: «هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ فكيف إن كان من القرابة وأولي الأرحام» فإن مسطحا كان ابن خالة الصديق، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، وقد أذنب ذنباً تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها، وكان الصديق رضي الله عنه معروفاً بالمعروف وله الفضل والأيدي على الأقارب وقد اجتمعت فيه خصال الخير من البر والإحسان لأقاربه خاصة وللناس والأجانب عامة.

فلما قال تعالى: ﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بادر الصديق بالعفو والصفح فالعفو قرينة التقوى ومن أسباب المغفرة وكلما كان أقوى في العفو كان أقوى في التقوى.

واستدل بالآية على فضل الصديق رضي الله عنه فقد سماه الله بأولي الفضل، وفي الآية من الفقه أنه إذا حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه فعن أبي

هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه» رواه مسلم.

وفي الآية من الفقه أن المسلم لا يكفر بالمعصية ولا تنتزع منه صفه الإسلام والإيمان والهجرة فدلّت الآية على أن ثواب كونه مهاجراً لم يحبط بإقدامه على القذف كما سمى الله تعالى مسطحاً وهو من الذين خاضوا في الإفك سماه مهاجراً في سبيل الله فقال: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فالآية نزلت على الصحيح بسبب حلف أبي بكر أن لا ينفق على مسطح.

وفيها من الفقه كذلك أن العفو والصفح عن المسيء حسن مندوب إليه، وربما وجب ذلك ولو لم يدل عليه إلا هذه الآية لكفي، ألا ترى إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] فعلق الغفران بالعفو والصفح.

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى ﴿فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال

تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] وأخرج البخاري في صحيحه (٣٠٧٥) عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، وإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني، فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين». فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

و(الأخشبان): هما الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب: هو الجبل الغليظ.

وأخرج مسلم (٢٣٢٨) بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن

يُجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله تعالى».

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ، قال : «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذدة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ ، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذته ، ثم قال : يا محمد ، مُر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه ، فضحك ثم أمر له بعطاء».

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : «اللهم اغفر لقومي ؛ فإنهم لا يعلمون».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب» متفق عليه.

قولها : «فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِنَّ وَقَالَ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا» :

كان وقع حادثة الإفك على آل أبي بكر شديداً، فلما نزلت البراءة حلف أبو بكر رضي الله عنه ألا ينفق على مسطح بن أثاثه، فلما نزلت الآية صفح الصديق وعفا واستمر في نفقته على مسطح وفي الآية الحث على النفقة والإحسان إلى الأقارب وإن أساءوا.

إن رحابة الصدر وسماحة النفس تتضمن الرحمة التي تدعو إلى الحلم الذي يقود إلى العفو، فيكون من وراء ذلك التأثير التلقائي لأن الإنسان يتأثر بالإحسان وقد تنقلب العداوة والكراهة إلى الإحسان والحب ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

«وهذا أمر مشاهد حيث نرى أن من كان سمح النفس يستطيع أن يظفر بأكبر قسط من محبة الناس له، وثقة الناس به، لأنه يعاملهم بالسماحة والبشر ولين الجانب، والتغاضي عن السيئات والنقائص، فإذا دعاه الواجب إلى تقديم النصح كان في نصحه رقيقاً ليناً، سمحاً، يسر بالنصيحة ولا يريد الفضيحة، يسد الثغرات ولا ينشر الزلات والعثرات». الأخلاق الإسلامية (٢/٤٤٣).

قولها : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِي» : هي زينب

بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبيرة بن مرة بن كثير بن غنم بن
دودان ابن أسد بن خزيمة أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم
عمه رسول الله ﷺ زوج النبي ﷺ فهي بنت عم النبي ﷺ.

تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة، هذا قول قتادة
وقال أبو عبيدة: إنه تزوجها في سنة ثلاث من التاريخ ولا خلاف
أنها كانت قبله تحت زيد بن حارثة وأنها التي ذكر الله تعالى قصتها
في القرآن بقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾
[الأحزاب: ٣٧]. فلما طلقها زيد وانقضت عدتها تزوجها رسول
الله ﷺ وأطعم عليها خبزاً ولحماً ولما دخلت على رسول الله ﷺ
قال لها: "ما اسمك". قالت: برة، فسمّاها زينب. ولما تزوجها
رسول الله ﷺ تكلم في ذلك المنافقون وقالوا: «حرم محمد نساء
الولد، وقد تزوج امرأة ابنه» فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ
مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] إلى آخر الآية وقال الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ
لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. فدعى من يومئذ زيد بن حارثة وكان يدعى
زيد بن محمد» فأبطل الله عادة التبني عند العرب.

قولها: «مَا عَلِمْتُ أَوْ مَا رَأَيْتُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي
سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي

كَأَنْتُ تُسَامِينِي : أي تُعاليني وتفاخرني وهي مفاعلة من السمو أي تطاولني في الحظوة عنده. لسان العرب (١٤ / ٣٩٧).

وفيه من الفقه جواز الكشف والبحث عن الأخبار الواردة إن كان له نظائر أم لا ، لسؤال النبي ﷺ بريرة وأسامة وعلي وزينب وغيرهم من بطانته عن عائشة ، وعن سائر أفعالها ما يغمض عليها ، والحكم بما يظهر من الأفعال على ما قيل .

قولها : «فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ» : الورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع ، أي قالت قولاً صادقاً لما تعلم من براءتها وطهارتها .

وهنا ينبغي أن يتأمل المسلم كيف تناولت زينب ما أشيع عن عائشة ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ وكن كما كانت في زمن انتشر فيه القيل والقال بالصدق والكذب بما ضر بأعراض الناس وألصقوا في البريء ما لم يكن فيه ففي السابق كان نقل الحديث لا يعدو أن يكون بين شخص وآخر أما في يومنا فقد سخرت له أجهزة الإعلام التي ينصت إليها ملايين البشر فأَي جريمة تلك وأي ذنب أعظم وزراً من إلصاق تهمة ببريء ، لذا كان من الواجب على كل مسلم عند سماعه مثل هذه الإشاعات والأخبار أن :

١- أن يقدم حسن الظن بأخيه المسلم ، وهو طلب الدليل الباطني الوجداني ، وأن ينزل أخيه المسلم بمنزلته ، وهذه هي وحدة الصف الداخلي : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ .

٢- أن يطلب الدليل الخارجي البرهاني : ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ .

٣- أن لا يتحدث بما سمعه ولا ينشره ، فإن المسلمين لو لم يتكلموا بمثل هذه الشائعات لماتت في مهدها ولم تجد من يحييها إلا من المنافقين : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ .

٤- أن يرد الأمر إلى أولي الأمر ، ولا يشيعه بين الناس أبداً ، وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار المهمة ، والتي لها أثرها الواقعي ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : ٨٣] .

ولحماية سمعة الأفراد وصيانة الأعراض أنزل الله تعالى قوله : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ [النور: ٤]، وقد نزلت في القاذفين قال سعيد بن جبير: «كان سببها ما قيل في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها» وقيل: «بل نزلت بسبب القذفة عاما لا في تلك النازلة» وقال ابن المنذر: «لم نجد في أخبار رسول الله ﷺ خبرا يدل على تصريح القذف وظاهر كتاب الله تعالى مستغنى به دالا على القذف الذي يوجب الحد وأهل العلم على ذلك مجمعون».

قال الزمخشري في الكشف :

«ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والرج العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفضاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة. كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٢٤] يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٦﴾» [النور: ٢٣-٢٥] لكفى بها، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا

وبهتوا، وأنه يوفيههم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهلـه، حتى يعلموا عند ذلك ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفطاعة، وما ذاك إلا لأمر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه كان بالبصرة يوم عرفة، وكان يُسأل عن تفسير القرآن، حتى سئل عن هذه الآيات فقال: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة»، وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك، وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ، والتنبيه على إنافه محل سيد ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين، وحجة الله على العالمين. ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ﷺ وتقدّم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق، فليتلّق ذلك من آيات الإفك، وليتأمل كيف غضب الله في حرمة، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابـه». الكشاف (٤ / ٣٩٤).

فأقام النبي ﷺ الحد فجلد مسطح بن أثاثـة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وهؤلاء من المؤمنين الصادقين تطهيراً لهم وتكفيراً فإن الحدود كفارة للذنوب لقوله ﷺ في حديث عبادة بن الصامت الذي رواه البخاري «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فو كفارته»، ولم يحدّ الخبيث عبد الله بن أبي رأس أهل الإفك قال ابن القيم رحمه الله: «أنه كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه

ويُخرجه في قوالب من لا يُنسبُ إليه وقيل الحدّ لا يثبت إلا بالإقرار أو بينة وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحدٌ فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين» وهذا لمن خطط ورتب وحاك المؤامرة وقصد الإيذاء والتعدي لحرمة بيت رسول الله ﷺ.

القذف من الكبائر والموبقات السبع :

أخرج البخاري بسنده (٢٦٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أجتنبوا السبع الموبقات» قيل : يا رسول الله، وما هن؟ قال : «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

ولعن الله القاذف وتوعده بالعذاب العظيم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وقد شرع حد القذف لحماية سمعة الأفراد أن تلوث أن تدنس من قبل مروجي الإشاعات الذين لا شغل لهم إلا نهش الأعراض، فمن أجل صيانة الأعراض جاء الإسلام بحلين متكاملين:

الأول: تحريكه لدوافع الإيمان ووازع الضمير حيث حرم الغيبة والتجسس والأخذ بالظن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

أما الثاني: فهو تشريع عقوبة القذف فمن لم يردعه إيمانه وتقواه ردعته العقوبة.

وهنا ينبغي أن نقف مع أحكام القذف :

فما هو القذف؟ وما شروط القاذف والمقذوف؟ وما العقوبة الواجبة فيه؟ ما يدرأ الحد عن القاذف؟ وما هي كيفية الحد (جنسه - توقيته - مسقطه؟ وبماذا يثبت القذف؟ ومتى وقت الحد؟ ومن يقيم الحد؟ وما هي آثار حد القذف؟

المبحث الأول

تعريف القذف :

القذف الذي يجب به الحدُّ، على وجهين:

أحدهما: أن يرمي القاذف المقذوف بالزنى.

والثاني: أن ينفيه عن نسبه إذا كانت أمه حرة مسلمة.

واختلفوا إن كانت كافرة أو أمةً، فقال مالك: «سواء كانت حرة أو أمة مسلمة أو كافرة يجب الحد». وقال إبراهيم النخعي: «لا حد

عليه إذا كانت أم المقذوف أمةً أو كنايةً»، وهو قياس قول الشافعي، وأبي حنيفة.

أنواع القذف :

والقذف على ثلاثة أضرب: صريح وكناية وتعريض، وذلك لأن اللفظ الذي يقع به القذف إما أن يدل بوضعه عليه دون احتمال لمعنى آخر غيره، فهذا هو الصريح، وإما أن يدل بوضعه على القذف مع احتمال لمعنى آخر غيره فهذا هو الكناية، وإما أن لا يدل بوضعه على القذف وإنما يفيد ذلك بقرائن الأحوال، فهذا هو التعريض.

واتفق الفقهاء على وجوب حد القذف بصريح الزنا.

أما في القذف بلفظ كنائي: كقوله يا فاجر أو يا خبيثة فقد اختلف الفقهاء في موجهه، فذهب الحنيفة ورواية عن الإمام أحمد إلى أنه لا يجب به الحد، وذهب المالكية والرواية الثانية عن أحمد، إلى أنه يجب الحد إذا فهم منه القذف، أو دلت القرائن على أن القاذف قصد منها القذف، وذهب الشافعي والخرقي من الحنابلة، وابن المنذر إلى أن القذف بالكناية يجب به الحد إن نوى القاذف بعبارته القذف.

وأما التعريض بالقذف كأن يقول شخص لآخر ما أنا بزان
فالفقهاء في موجهه على قولين:

الأول: أن ذلك لا يعد قذفاً ولا يجب به الحد، وبهذا قال
الحنفية والشافعية ورواية عن أحمد.

الثاني: أن ذلك يعد قذفاً يجب به الحد، وإليه ذهب الإمام مالك
ورواية عن أحمد.

وإذا ثبت القذف في حق شخص فإن القاذف يجب عليه حد
القذف، وهو ثمانون جلدة إذا كان حراً. ولكن لا يطبق هذا الحد
إلا إذا توافرت شروط وجوبه، وهي شروط في القاذف، وشروط
في المقدوف، أما ما يشترك في القاذف في الجملة فهو البلوغ،
والعقل، والاختيار، ويشترط في المقدوف أن يكون محصناً، أي
يشترط فيه البلوغ والعقل والإسلام والحرية والعفة عن الزنا.

المبحث الثاني

شروط القاذف : اتفقوا على أن من شرطه وصفين : وهما البلوغ والعقل ، وسواء كان ذكراً أو أنثى ، حُرّاً أو عبداً ، مُسْلِماً أو غير مُسْلِمْ.

المبحث الثالث

شروط المقذوف : وأما المقذوف فاتفقوا على أن من شرطه أن يجتمع فيه خمسة أوصاف وهي : البلوغ والحريّة والعفاف والإسلام ، وأن يكون معه آلة الزنى ، فإن انخرم من هذه الأوصاف وصفٌ لم يجب الحد ، والجمهور بالجملة على اشتراط الحريّة في المقذوف ، ويحتمل أن يدخل في ذلك خلافٌ ، ومالكٌ يعتبر في سن المرأة أن تطيق الوطء.

المبحث الرابع

ما يدرأ الحد عن القاذف : والذي يندرى به الحد عن القاذف أن يثبت زنى المقذوف بأربعة شهود بإجماع ، والشهود عند مالك إذا كانوا اقل من أربعة قذفةً ، وعند غيره ليسوا بقذفةٍ فلا بد من شهادة أربعة عدول على حصول الفعل مع اليقين الكامل والتأكد

التام مع اتفاقهم في كل تفاصيل الفعل ، وزمانه ومكانه ووضعه ،
فإن لم يتفقوا على ذلك اعتبر إبلاغهم كاذب ، وأوقع عليهم حد
القذف بدلاً من إيقاع حد الزنا على المتهم ﴿لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ .

وقد حصل ذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما
شهد عنده أبو بكر ونافع وشبل بن معبد على المغيرة بن شعبة
بالزنى حدّهم حد القذف لما تخلف الرابع زياد فلم يشهد.

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٣٤/٨) وصححه الألباني
في الإرواء (٢٩/٨).

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

المبحث الخامس

كيفية الحد (جنسه - توقيته - مسقطه) :

أما جنسه ، فإنهم اتفقوا على أنه ثمانون جلدة للقاذف الحر لقوله
تعالى: ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ ، واختلفوا في العبد يقذف الحر ، كم حده؟
فقال الجمهور من فقهاء الأمصار: «حده نصف حد الحر ، وذلك

أربعون جلدة»، وروي ذلك عن الخلفاء الأربعة، وعن ابن عباس، وقالت طائفة: «حدُّه حدُّ الحرِّ»، وبه قال ابن مسعود من الصحابة، وعمر بن عبد العزيز وجماعة من فقهاء الأمصار: أبو ثور، والأوزاعي وداود وأصحابه من أهل الظاهر. فعمدة الجمهور قياس حده في القذف على حده في الزنى. وأما أهل الظاهر فتمسكوا في ذلك بالعموم ولما أجمعوا أيضاً أن يحد الكتابي ثمانون، فكان العبد أحرى بذلك.

المبحث السادس

وقت الحد : وأما التوقيت فإنهم اتفقوا على أنه إذا قذف شخصاً واحداً مراراً كثيرة، فعليه حد واحد إذا لم يحد بواحد منها، وأنه إذا قذف فحد ثم قذفة ثانية حد حداً ثانياً واختلفوا إذا قذف جماعة، فقالت: طائفة: «ليس عليه إلا حد واحد جمعهم في القذف أو فرقتهم»، وبه قال مالك، وأبو حنيفة والثوري، وأحمد وجماعة وقال قوم: «بل عليه لكل واحد حد»، وبه قال الشافعي، والليث، وجماعة حتى روي عن الحسن بن حيي أنه قال: «إن قال إنسان: من دخل هذه الدار فهو زانٍ جُلِدَ الحدَّ لكل من دخلها»، وقالت طائفة: «إن جمعهم في كلمة واحدة مثل أن يقول لهم: يا زناة، فحد واحد، وإن قال لكل واحد منهم: يا زاني فعليه لكل إنسان منهم حد»، فعمدة من لم يوجب على قاذف الجماعة إلا حداً واحداً حديث أنس وغيره أن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سمحاء، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فلاعن بينهما ولم يحده لشريك، وذلك إجماع من أهل العلم فيمن قذف زوجته برجلٍ، وعمدة من رأى أن الحد لكل واحد منهم أنه حق للآدميين، وأنه لو عفا بعضهم ولم يعف الكل لم يسقط الحد. وأما من فرق بين قذفهم عفا كلمة واحدة أو كلمات أو في مجلس واحد أو في مجالس،

فلأنه رأى أنه واجب أن يتعدد الحد بتعدد القذف، لأنه إذا اجتمع تعدد المقذوف وتعدد القذف كان أوجب أن يتعدد الحد. وأما سقوطه فإنه اختلفوا في سقوطه بعفو القاذف، فقال أبو حنيفة، والثوري، والأوزاعي: «لا يصح العفو» (أي: لا يسقط الحد)، وقال الشافعي: «يصح العفو: (أي: يسقط الحد) بلغ الإمام أو لم يبلغ»، وقال قوم: «إن بلغ الإمام لم يجز العفو، وإن لم يبلغه جاز العفو». واختلف قول مالك في ذلك، فمرة قال بقول الشافعي، ومرة قال: «يجوز إذا لم يبلغ الإمام، وإن بلغ لم يجز إلا أن يريد بذلك المقذوف الستر على نفسه»، وهو المشهور عنه. والسبب في اختلافهم هل هو حق لله؟ أو حق للآدميين؟ أو حق لكليهما؟ فمن قال: حق لله لم يجز العفو كالزنى، ومن قال: حق للآدميين أجاز العفو، ومن قال: لكليهما وغلب حق الإمام إذا وصل إليه قال: بالفرق بين أن يصل الإمام أو لا يصل، وقياساً على الأثر الوارد في السرقة، وعمدة من رأى أنه حق للآدميين وهو الأظهر أن المقذوف إذا صدقه فيما قذفه به سقط عنه الحد.

المبحث السابع

من يقيم الحد : وأما من يقيم الحد فلا خلاف أن الإمام يقيمه في القذف.

المبحث الثامن

آثار حد القذف : واتفقوا على أنه يجب على القاذف مع الحد سقوط شهادته ما لم يتب، واختلفوا إذا تاب، فقال مالك: «تجوز شهادته»، وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: «لا تجوز شهادته أبداً»، والسبب في اختلافهم هل الإستثناء يعود إلى الجملة المتقدمة أو يعود إلى أقرب مذكور، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا، فمن قال: يعود إلى أقرب مذكور قال: التوبة ترفع الفسق ولا تقبل شهادته، ومن رأى أن الإستثناء يتناول الأمرين جميعاً قال: التوبة ترفع الفسق ورد الشهادة. وكون ارتفاع الفسق مع رد الشهادة أمراً غير مناسب في الشرع (أي: خارج عن الأصول)، لأن الفسق متى ارتفع قبلت الشهادة.

واتفقوا على أن التوبة لا ترفع الحد.

وأما بماذا يثبت؟ فإنهم اتفقوا على أنه يثبت بشاهدين عدلين حرين ذكرين.

ما يستفاد من الحديث :

١- تبرئة عائشة رضي الله عنها من الإفك بقرآن يتلى إلى آخر الزمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [النور: ١١] وهذه براءة قطعية من الله.

٢- أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يبرز الخير من ثنایا الشر، فقد كان ابتلاء أسرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بحديث الإفك خيراً لهم، حيث كتب لهم الأجر العظيم على صبرهم وقوة إيمانهم، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١].

٣- الحرص على سمعة المؤمنين، وعلى حسن الظن فيما بينهم، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

٤- تكذيب القائلين بالإفك، قال تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْلَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النور: ١٣].

٥- بيان فضل الله على المؤمنين ورأفته بهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٤].

٦- وجوب التثبت من الأقوال قبل نشرها، والتأكد من صحتها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

٧- النهي عن اقتراف مثل هذا الذنب العظيم أو العودة إليه، قال تعالى: ﴿يَعُظُّكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧-١٨].

٨- النهي عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

٩- بيان فضل الله سبحانه على عباده المؤمنين ورأفته بهم وكرره ذلك تأكيداً له، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠].

١٠- النهي عن تتبع خطوات الشيطان التي تؤدي للهلاك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

١١- الحث على النفقة على الأقارب وإن أساءوا، قال تعالى:
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

١٢- غيرة الله تعالى على عباده المؤمنين الصادقين، ودفاعه
عنهم، وتهديده لمن يرميهم بالفحشاء باللعن في الدنيا
والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ
لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣-٢٥].
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].
﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

منهج أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين :

يقول ابن تيمية رحمه الله: "لا بد أن يكون مع الإنسان أصول
كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات
كيف وقعت، وإلا يبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل
وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم". (انظر منهاج السنة النبوية ٨٣/٥).

قواعد أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين :

١ - خشية الله تعالى :

فخشيتُه سبحانه هي القاعدة الأولى في كل عمل يتقرب به العبد إلى الله وهي التي تدفع الناقد إلى العدل والإنصاف حتى مع أعدائه وخصومه فإذا علم العبد أن الله محيط به قادر عليه يسمعه ويراه أثمر عنده خشية الله وخوفاً مما يقوله أو يسمعه أو يراه، قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ۖ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

فخشية الله تعالى في السر والعلن هي ثمرة العلم بالله تعالى كما قال تعالى عن العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وأخرج البخاري بسنده عن أنس قال: قال رسوله ﷺ: «إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»، فدل هذا على أن الخشية يثمرها

العلم الصحيح ، العلم بالله وبربوبيته وألوهيته ، وبأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وما يحب من العقائد والأقوال والأعمال والصفات ، وما يكره .

فخشية الله تعالى من المنجيات في الدنيا والآخرة قال النبي ﷺ :
«ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الفقر والغنى ، وكلمة الحق في الغضب والرضا . وثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه» . حسنه الألباني (٣٠٣٩) صحيح الجامع .

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : "أصل العلم خشية الله تعالى" .

٢ - القاعدة الثانية :

الأصل حسن الظن بالمسلمين :

ومن ترك الظن السيئ وفق للسلامة من سوء الاعتقاد في الخلق ، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، والأصل في هذه القاعدة هو قول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات : ١٢] .

قال أبو حاتم: «الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الإشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه من عاب الناس عابوه، ولقد أحسن الذي يقول:

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا	عليهم، وأبدوا منك ما كان يستر
وقد قال في بعض الأقاويل قائل	له منطلق فيه كلام مجبر
إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم	فلا عيب إلا دون ما منك يذكر
فإن عبت قوماً بالذي ليس فيهم	فذلك عند الله والناس أكبر
وإن عبت قوماً بالذي فيك مثله	فكيف يعيب العور من هو أعور؟
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه	أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكر؟»

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١ / ٤٢).

وقد بين الله تعالى ما ينبغي على المؤمن عند سماع الإفك والكذب، وكيف له أن يرد عن عرض أخيه كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ، وقد

يحسب البعض أن الأمر هين وتناوله سهل حتى شاع في هذا الزمان القول بما ليس لهم به علم يعتمدون الإشاعة والخبر أياً كان مصدره بل اتخذ نقل الأخبار المكذوبة صنعه يتكسب بها كما هو معمول به في وسائل الإعلام من التلفاز والصحف والمجلات فالإثارة هي أساس تلك الوسائل ولا إثارة عندهم إلا بما حرم الله من الإفك والكذب والإشاعة وتزوير الحقائق وصدق الله إن يقول: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هيناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ثم وعظنا الله عز وجل وحذرنا أشد تحذير من أن نعود إلى مثل هذا الذنب العظيم فقال: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧﴾.

ثم قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ وهذا على حسب جرمه وما ترك من أثر بمقولته فليس الذي تسبب بقتل بريء كمن هو دونه فكل على حسب، فلربما قيلت كلمة فرقت بين الوالد وولده أو الزوج وزوجته أو قُطعت الأرحام وهدمت الأسر والبيوت بل ربما يصل أثر جرمه إلى القتل ولك أن تتخيل مدى الكلمة المكذوبة الفاسدة وأثرها السيئ على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة.

وقد صح عن النبي ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» (رواه مسلم) وسبق أن بينا أن ليس كل ما ينقله العبد صدقا فهو ينقل الصدق والكذب فيؤا بالاثم.

وملاك ذلك كله أن يتثبت المرء مما يقال أن كان يعنيه وإن لم يكن فلا حاجة بإشغال نفسه بما لا يعني فليرد عن غيبه أخيه أو ليغادر مجلسه قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

٣ - القاعدة الثالثة :

الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف:
أمر الله بالعدل في كتابه في عدة مواضع ولا يمكن أن تجتمع الحكمة والعدل مع الظلم والحيث والجور.

يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: من الآية ٩٠]. ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة من الآية ٨]. وفي سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وفي سورة الشورى: ﴿وَأَمْرٌ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ

عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ [النحل: ٧٦]. فالعدل من لوازم
الحكم وركن من أركانها ومعناه هي أن يضع الإنسان الشيء في
موضعه ولا يحملنه عداوة قوم أن لا يعدل في حكمه فيهم قال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [المائدة: ٨]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥].

والمقصود هنا العدل في ذكر المساوى والمحاسن، والموازنة
بينهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والكلام في الناس يجب أن يكون
بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع". (منهاج السنة النبوية
٣٣٧/٤).

وقال ابن القيم: "التوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال".
وإليك بعضاً ممن ترجم لهم العلماء وأخذوا جانب العدل
والإنصاف في تراجمهم: كالحافظ الذهبي رحمه الله.

وكذلك لعدد ممن اشتهر بين الناس وكان من أهل البدع أو
الفسق أو الإلحاد، ومع ذلك كله لم ييخسهم ما لهم من صفات
جيدة، بل أنصفهم بذكر ما لهم وما عليهم.

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، منها :

١- قال عن عبد الوارث بن سعيد: (وكان عالماً مجوداً، ومن
أهل الدين والورع، إلا أنه قدري مبتدع) السير (٣٠١/٨).

٢- وقال عن الحكم بن هشام (وكان من جبابرة الملوك
وفساقهم، ومتمرديهم، وكان فارساً، شجاعاً، وكان ذا دهاء
وعتو وظلم، تملك سبعاً وعشرين سنة) السير (٢٥٤/٨).

٣- وقال عن الواقدي: (والواقدي وإن كان لا نزاع في ضعفه فهو
صادق اللسان، كبير القدر)، السير (١٤٢/٧).

٤- وقال عن المأمون الذي تبنى فتنة القول بخلق القرآن وامتنح
علماء أهل السنة بذلك: (كان من رجال بني العباس حزماء،
وعزماً، ورأياً، وعقلاً، وهيباً، وحلماً، ومحاسنه كثيرة في
الجملة) السير (٢٧٣/١٠).

٥- وقال في ترجمة الجاحظ الأديب المعتزلي : (العلامة، المتبحر، ذو الفنون، وكان أحد الأذكياء، وكان ماجناً، قليل الدين، له نوادر) السير (٢٥٦/١١).

٦- وقال عن قرة بن ثابت : (الصائب، الشقي، الحراني، فيلسوف عصره، وكان يتوقد ذكاء) السير (٢٨٥/١٣).

٧- وقال في ترجمة الخياط المعتزلي : (شيخ المعتزلة البغداديين، له ذكاء مفرط، والتصانيف المهدبة، وكان من بحور العلم، له جلاله عجيبة عند المعتزلة) السير (٢٢٠/١٤).

وقال الذهبي في ترجمة الفضيل: "قلت: إذا كان مثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج، ومثل الفضيل يتكلم فيه، فمن الذي يسلم من ألسنة الناس، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع" (انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٨/٨).

وفي ذلك يقول الشعبي رحمه الله: "والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة، وأخطأت مرة، لأعدوا على تلك الواجدة" حلية الأولياء ٣٢٠/٤.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "من سلك طريق الاعتدال، عظم من يستحق التعظيم، وأحبه وولاه، وأعطى الحق حقه، فعظم

الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج، والمعتزلة، ومن وافقهم " (منهاج السنة النبوية ٥٤٣/٤).

وقال ابن القيم رحمه الله :

«وهنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا من بصره الله: وهي أن كثيراً ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسبته وتعلقه بمن يفضله ولو على بعد، ثم يأخذ في تقريظه وتفضيله، وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل، والمبالغة فيه، واستقصاء محاسن المفضل، والإغضاء عما سواها، ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس ومن تأمل كلام أكثر الناس في هذا الباب رأى غالبه غير سالم من هذا، وهذا مناف لطريقة العلم والعدل التي لا يقبل الله سواها ولا يرضى بغيرها.

ومن هذا التفضيل كثير من أصحاب المذاهب والطرائق واتباع الشيوخ كل منهم لمذهبه وطريقته أو شيخه، وكذلك الأنساب والقبائل والمدن والحرف والصناعات، فإن كان الرجل ممن لا يشك في علمه وورعه خيف عليه من جهة أخرى وهو أنه يشهد حظه ونفعه المتعلق بتلك الجهة، ويغيب عن نفع غيره بسواها، لأن

نفعه مشاهد له أقرب إليه من علمه بنفع غيره، فيفضل ما كان نفعه وحظه من جهته باعتبار شهوده ذلك وغيبته عن سواه، فهذه نكت جامعة مختصرة إذا تأملها المنصف عظم انتفاعه بها واستقام له نظره ومناظرته». (بدائع الفوائد ٣/١٦١).

فعدم الإنصاف والعدل ظلم لا يتركه الله تعالى كما ورد في حديث أنس عن النبي ﷺ: «الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره وظلم لا يتركه فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك قال الله: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» وأما الظلم الذي يغفره فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدبر لبعضهم من بعض». رواه الطيالسي وحسنه الألباني ٣٩٦١ في صحيح الجامع.

قال ابن القيم: «والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله تعالى يستوفيه كله، وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فإن هذه الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك بخلاف ديوان الشرك، فإنه

لا يُمحي إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحي إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها، ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرّم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفسٌ مشرّكة". الوابل الصيب (٢٤/١).

وقال ابن تيمية: "إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، وُروى «الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كنت مؤمنة» المجموع (٦٣-٦٢/٢٨).

وقال ابن حزم: "أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبّه وعلى الحق وإيثاره". الأخلاق والسير (٨-١).

قال الشيخ محمد بن يحيى الزبيدي: "إن المظلوم إذا شكّا إلى الله تعالى اقتضى عدل الله عز وجل الإيقاع بظالمه، فيحب الله سبحانه وتعالى أن يجهر المظلوم بالشكوى، ليكون الإيقاع بالظالم مبسوط العذر عند الخلق، وزاجراً لأمثاله عن أمثال فاعله، وإنما يُمهّل الظالم من جهة أن الخلق إذا ملك أحدكم مملوكين فجُني على أحدهم جناية فإن أرشها لسيّده، فالخلق ملكٌ لله عز وجل فلا اعتراض عليه".

القاعدة الرابعة :

المنهج الصحيح في الحب والبغض :

فإن الحب والبغض من أوثق عرى الإيمان فنحب المرء على قدر طاعته ونبغضه على قدر معصيته والشواهد كثيرة وقد أصّل النبي ﷺ هذه القاعدة لما لعن بعض الصحابة عبد الله بن حمار وكان يشرب الخمر و الحديث أخرجه البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أن رجلاً في عهد رسول الله ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمّار، وكان يُضحك رسول الله ﷺ أحياناً، وكان نبي الله ﷺ قد جلده في الشرب، فَأُتِيَ به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم : اللهم ألعنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ : لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إنه يحب الله ورسوله». أخرجه البخاري.

فانظر كيف جعل النبي ﷺ من الإيمان حب الله ورسوله في قلبه مانعاً للدعاء عليه ونهى أن يلعن فأثبت ماله من الإيمان مع ما كان عنده من المعصية في شرب الخمر وهكذا ينبغي أن نتعامل مع الناس فيكون عندنا من الموازنة ما تمنعنا من إيقاع الحيف والظلم عليه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد، أو في الشخص الواحد الأمران: فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البرية، فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب المبين» (الفتاوى ٣٦٦/١٠).

ويقول في موضع آخر: «ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم ويحب من وجه، ويعذب ويبغض من وجه آخر» (الفتاوى ٢٩٤/٥١).

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

الفهرس

رقم الصفحة		م
٥ مقدمة:	١
٩ تمهيد:	٢
١١ خطر المنافقين على الإسلام:	٣
١٣ صفات المنافقين في القرآن:	٤
١٤	١- الإفساد في الأرض:	
١٤	٢- رمي المؤمنين بالسفه والجهل:	
١٤	٣- اللدد في الخصومة والعزة بالإثم:	
١٥	٤- موالاة الكافرين والتربص بالمؤمنين:	
١٥	٥- الخداع والرياء والتكاسل عن أداء الطاعات:	
١٥	٦- التحاكم إلى الطاغوت:	
١٦	٧- الإفساد بين المؤمنين بالتشيط والأرجاف:	
١٦	٨- الكذب والخوف:	
١٦	٩- يعيبون أهل الحق:	
١٦	١٠- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:	
١٦	١١- الغدر وعدم الوفاء بالعهد:	
١٧	١٢- السخرية من المؤمنين:	
١٧	١٣- تواصلهم بترك الجهاد:	
١٧	١٤- الأضرار بالمؤمنين فيبتغون مالا يظهرون:	
١٩ المنافقون في غزوة بني المصطلق:	٥
٢٤ حادثة الإفك:	٦
٣٣ ترجمة عائشة رضي الله عنها:	٧
٣٨ ترجمة خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ..	٨

٤٢	تعريف الإفك:	٩
٤٣	من الأحكام الفقهية: «القرعة بين النساء في السفر»: ..	١٠
٤٣	مشروعية القرعة:	١١
٤٩	كيفية القرعة:	١٢
٤٩	من الأحكام الفقهية: «خروج النساء في الغزو»:	١٣
٥٠	غزوة المريسيع:	١٤
٥١	زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث:	١٥
٥٣	من الأحكام الفقهية: «مشروعية الزينة وأحكامها»:	١٦
٥٦	ترجمة صفوان بن المعطل رضي الله عنه:	١٧
٥٧	من الأحكام الفقهية: «وجوب الحجاب عن الأجانب:	١٨
٥٨	من الأحكام الفقهية: «استحباب الاسترجاع عند المصيبة»:	١٩
٦٠	من الأحكام الفقهية: «وجوب المحرم في السفر» ويستثنى من هذا الضرورة:	٢٠
٦١	من تكلم في الإفك:	٢١
٦٣	١- حسان بن ثابت وترجمته:	
٦٣	٢- مسطح بن أثانة وترجمته:	
٦٤	٣- حمنة بن جحش وترجمتها:	
	٤- الذي تولى كبر الإفك عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول:	
٦٤	الحكمة من امتناع النبي ﷺ عن قتل ابن أبي سلول:	٢٢
٦٥	فضيلة المدينة المنورة مدينة رسول الله ﷺ:	٢٣
٦٦	بشرية محمد ﷺ:	٢٤
٦٧	من الأحكام الفقهية: «جواز خروج النساء إلى حاجة الإنسان بدون إذن الزوج»:	٢٥
٧٠	

٢٦	فضيلة من شهد معركة بدر:	٧٢
٢٧	من الأحكام الفقهية: «جواز كتم ما يقال في الإنسان	
٧٤	من القبح»:	
٢٨	من الأحكام الفقهية: «الهجر في البيت والتسليم على	
٧٥	أهله»:	
٢٩	من الأحكام الفقهية: «عدم جواز خروج المرأة إلا	
٧٦	بإذن زوجها»:	
٣٠	من الأحكام الفقهية: «مشروعية قول سبحان الله	
٨١	استفهام بمعنى التعجب»:	
٨٢	مشروعية الشورى:	
٣٢	استشارة رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب وأسامة	
٨٢	رضي الله عنهما:	
٣٣	ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:	
٨٢	ترجمة أسامة بن زيد رضي الله عنه:	
٨٣	لماذا أشار علي رضي الله عنه بالفراق تعريضاً	
٨٦	والجواب عليه:	
٣٦	من الأحكام الفقهية: «جواز البحث والسؤال عن	
٨٧	أحوال غيره إذا كان له تعلق»:	
٣٧	التحذير من الروايات الباطلة التي تزعم بإساءة على	
٨٨	لعائشة رضي الله عنهما:	
٨٩	من الأحكام الفقهية «تعديل النساء»:	
٣٩	السبب في استعذار النبي ﷺ من عبد الله بن أبي ولم	
٩٢	يستعذر من غيره:	

٤٠	سد الذرائع والوسائل إلى المحرمات من أكبر القواعد
٩٤	الفقهية:
٤١	ترجمة سعد بن معاذ رضي الله عنه:
٤٢	من الأحكام الفقهية «وجوب قتل من آذى النبي ﷺ»
٩٧	في أهله أو عرضه:
٤٣	ترجمة سعد بن عباد رضي الله عنه:
٤٤	حرمة التعصب للقبيلة والعرق وأنها تنقل عن اسم
١٠٠	الصالح:
٤٥	ترجمة أسيد بن حضير رضي الله عنه:
٤٦	جهل المعتزلة والخوارج الذي كفروا بالذنوب:
٤٧	الأوس والخزرج قبيلتان من الأزديين:
٤٨	أقسام الناس عندما رميت عائشة رضي الله عنها أربعة:
٤٩	الحكمة من توقف النبي ﷺ في أمر عائشة:
٥٠	العصمة منتفية في حق نساء الأنبياء والرسل:
٥١	حسن الظن بالله من واجبات التوحيد:
٥٢	تلازم حسن الظن مع صلاح العمل:
٥٣	أنواع الوحي:
٥٤	الفرح مشروع ومستحب بدين الله وهدايته:
٥٥	براءة عائشة والآيات التي أنزلت في حقها:
٥٦	حكم من سب أو شتم أو قذف عائشة رضي الله عنها:
٥٧	العفو والصفح عن المسيء حسن مندوب إليه:
٥٨	المسلم لا يكفر بالمعصية ولا تنزع منه صفة الإسلام
١٣٦	الإيمان:
٥٩	ما ينبغي على المسلم من سماع الإشاعة:

٦٠	القذف من الكبائر والموبقات السبع:	١٤٥
٦١	تعريف القذف:	١٤٦
٦٢	أنواع القذف:	١٤٧
٦٣	شروط القاذف والمقذوف:	١٤٩
٦٤	العقوبة الواجبة فيه:	١٤٨
٦٥	ما يدرأ الحد عن القاذف:	١٤٩
٦٦	كيفية الحد (جنسه - توقيته - مسقطه):	١٥٠
٦٧	بماذا يثبت القذف؟	١٥٢
٦٨	وقت الحد:	١٥٢
٦٩	من يقيم الحد؟	١٥٤
٧٠	آثار حد القذف:	١٥٤
٧١	ما يستفاد من الحديث:	١٥٥
٧٢	منهج أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين:	١٥٧
	١- خشية الله تعالى:	١٥٨
	٢- حسن الظن بالمسلمين:	١٥٩
	٣- العدل والإنصاف:	١٦١
	٤- نحب على قدر الطاعة ونبغض على قدر المعصية:	١٦٩

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

كتب للمؤلف

- ١ - خطايا اللسان في ضوء الكتاب والسنة.
- ٢ - شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور.
- ٣ - دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر.
- ٤ - أمراض القلوب في ضوء الكتاب والسنة.
- ٥ - مختصر العقيدة السلفية.
- ٦ - صلاة الإستخارة وأحكامها.
- ٧ - أحكام المسافر.
- ٨ - الرياض النضرة في أسباب المغفرة.
- ٩ - حادثة الإفك وتبرئة عائشة الصديقة رضي الله عنها.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.